جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية
قسم التاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

رقم: ...

إعداد الطالب:
خالد نصري

يوم:03/07/2019

عبد المؤمن بن علي وجهوده في قيام دولة الموحدين

لجنة المناقشة:

غرداين مغنية	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	رئيس
علي بلدي	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مقرر
علي زيان	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر-بسكرة-	مناقش

السنة الجامعية:2018-2019

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أبي و أمي أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي و أخواتي.

إلى جميع زملائي و زميلاتي في الدفعة

و إلى كل من أحب أهدي عملي هذا.

شكر و تقدير

الحمد و الشكر أولا و آخرا لله عزّ وجل

الذي منّ عليّ بتوفيقه لإنجاز هذه الدراسة،

و الشكر الموصول لأستاذي المشرف " بلدي علي "

متفضلا عليّ بمعلوماته و نصائحه،

فجزاه الله عنّي كل خير.

كما يسعدني أن أتقدم بوافر الامتنان لأساتذة

قسم التاريخ دون استثناء.

◈ ◈ ◈

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة المناقشة.

◈ ◈ ◈

مقدمة

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط عدة تغيرات سياسية أدت إلى ظهور العديد من الدول المنافسة، و التي تقوم كل منها على أعقاب دولة أخرى، تبدأ كدعوة دينية و فكرية روحية على يد دعاة فقهاء، ثم تأخذ طابعا سياسيا لظهور نظام جديد.

فكانت من بين هذه الحركات حركة محمد بن تومرت الذي دعى إلى التوحيد، و التي كانت في بدايتها حركة إصلاحية لإعادة رفع راية الإسلام و إحياء السنة النبوية، و بعد أن ترسخت في المغرب، أخذت جانب العمل السياسي لتغيير نظام الحكم المرابطي و ذلك بالطعن في عقيدتهم و اتهامهم بالخروج عن الدين إلى غاية وفاته سنة (524هـ-1129م).

فخلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي في حمل لواء الدعوة الموحدية و بُويع بالخلافة فكان الخليفة الأول للموحدين و أكمل مسيرته في القضاء على المرابطين و تأسيس الدولة إلى غاية وفاته سنة (558هـ-1163م) ، فكان هذا موضوع دراستنا " عبد المؤمن بن علي و جهوده في قيام الدولة الموحدية "

أسباب اختيار الموضوع :

و يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع، إلى :

- إعجابنا بهذه الشخصية العظيمة و التي لها بصمة في التاريخ الإسلامي.
- الرغبة النفسية في البحث عن المواضيع المتعلقة بتاريخ الشخصيات الإسلامية.
- كشف و تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب هذه الشخصية.
- الرغبة في الإطلاع على إنجازاته التاريخية و أعماله التي قدمها للإسلام و المسلمين.

أهداف الموضوع :

و كان الهدف من هذا البحث، هو إثراء المادة العلمية في هذا المجال التاريخي، ومحاولة الوصول إلى الحقائق التاريخية حول هذه الشخصية العظيمة، والتي أخذت منعطفا تاريخيا في التاريخ الإسلامي في تلك الفترة

الإشكالية :

و للبحث في هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية :

- فيما تمثلت جهود عبد المؤمن بن علي في تأسيس الدولة الموحدية ؟

و يندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، التي تهدف إلى التعريف بشخصية عبد المؤمن بن علي، و التي يمكن حصرها فيما يلي :

- من هو عبد المؤمن بن علي ؟
- كيف أثر ابن تومرت على حياته ؟
- ما هو دوره السياسي و العسكري في بلاد المغرب و الأندلس ؟
- ما هي أهم إنجازاته و تنظيماته في الدولة ؟

منهج الدراسة :

في البحث العلمي لا يمكننا الفصل بين المناهج لأنها مكملة لبعضها البعض، لذا كان لزاما استخدام المنهج التاريخي و ذلك من خلال رصد مختلف الأحداث و ترتيبها ترتيبا كرونولوجيا عن طريق وصف المراحل التي مرت بها تلك الشخصية. كما استخدمت أيضا المنهج التحليلي و الوصفي.

و للإجابة على هذه الإشكالية وضعنا الخطة المكونة من : مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول و خاتمة.

ففي المقدمة ذكرنا التعريف بالموضوع و طرح الإشكالية و المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها و الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث و الخطة، و أما الفصل التمهيدي فتطرقنا فيه إلى ذكر الأوضاع التي كانت سائدة في المغرب الإسلامي قبيل قيام دولة الموحدين، و ظهور الدعوة التومرتية.

و أما العرض فهو مكون من ثلاث فصول:

ففي الفصل الأول الذي عنون "عبد المؤمن بن علي و لقائه بابن تومرت"، حيث تناول نشأة عبد المؤمن و تكوينه الفكري، و لقائه بابن تومرت و أبرزنا فيه أهمية هذا اللقاء بالنسبة لعبد المؤمن و الذي غيّر حياته تماما، حيث كان يبدي له اهتماما خاصا عن طلبته و أصحابه، وبعد وفاته تمت مبايعة عبد المؤمن بالخلافة واستكمال نشر الدعوة الموحدية.

و يتبعه فصل ثاني بعنوان "سياسة عبد المؤمن بن علي و جهوده التوحيدية"، حيث تضمن مراحل توحيده للمغرب الأقصى و الأوسط و افريقية، وذلك بالقضاء على المرابطين، و أبرزنا سياسته

و أساليبه التي اتبعها في ذلك، ثم مواصلة جهاده في الأندلس و توسيع الرقعة الجغرافية لدولته و القضاء نهائيا على التواجد المرابطي، إلى غاية وفاته.

و أما الفصل الثالث و الأخير تحت عنوان "تنظيمات عبد المؤمن بن علي و منجزاته"، و الذي أبرزنا فيه ثمرة جهوده التي أدت بالدولة الموحدية إلى النمو و الازدهار، من خلال تنظيماته السياسية و الإدارية، و أهم إنجازاته الفكرية و الثقافية، و اهتمامه الكبير بالعلم و العلماء، فظهرت العديد من الشخصيات العظيمة من الأدباء و الشعراء و العلماء و القادة الكبار، و التي لعبت دورا بارزا في ظهور الدولة كقوة منافسة على الساحة السياسية.

و في خاتمة هذا البحث عددنا النقاط المتوصل إليها، و هي بمثابة خلاصة لهذا الموضوع و التي تجيب عن الأسئلة المطروحة، كما ألحقنا مجموعة من الملاحق المرتبطة بالموضوع للتوضيح.

المصادر و المراجع المعتمدة :

لقد اعتمدنا في إنجاز مذكرتنا على جملة من المصادر و المراجع المتنوعة من الموسوعات و التراجم و الجغرافيا، منها مصادر عن بلاد المغرب و الأندلس، و مصادر عن الدولة الموحدية، فمن المصادر الخاصة بدولة الموحدين، لدينا مصدرين لأبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف " بالبيدق " و الذي كان من أتباع محمد ابن تومرت و عبد المؤمن بن علي من بعده، كتابه الأول بعنوان : " المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب " الذي خصصه لذكر نسب ابن تومرت و أصحابه و نسب عبد المؤمن و أسرته و قرابته، اعتمدنا عليه في الفصل الأول و كذلك التعريف ببعض شخصيات الموحدين، أما كتابه الثاني فهو بعنوان : " أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين " و الذي ذكر فيه الغزوات التي قام ابن تومرت ضد المرابطين في المغرب و جهاد الخليفة عبد المؤمن بن علي في المغرب و الأندلس، و الذي اعتمدنا عليه بكثرة في الفصل الثاني.

و مصدر آخر لأبي محمد عبد الواحد المراكشي (ت621هـ) بعنوان : " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " حيث عايش فترة حكم الموحدين و اتصاله برجال الدولة و اهتمامه الكبير بعبد

المؤمن بن علي و أعماله و إنجازاته حيث أحاط بكل جوانب دولته، و اعتمدنا عليه بكثرة في هذا البحث.

و مصدر آخر لأبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي (ت726هـ) بعنوان : " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس " ، و قد تحدث عن عبد المؤمن و أوصافه و أعماله.

كما اعتمدنا على مصدر آخر لأبي عبد الله محمد بن عذارى المراكشي المتوفى أواخر القرن السابع هجري بعنوان : " البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب " و الذي خصص هذا جزء خاص بالموحدين فاعتمدنا عليه في الفصل الثاني من الجانب السياسي و العسكري لعبد المؤمن.

أما كتاب أبي العباس أحمد بن خلكان (ت681هـ) بعنوان: " وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان "، و الذي عايش فترة حكم الموحدين، فاستفدنا منه كثيرا في الفصل الأول من حيث مولد عبد المؤمن و نسبه و نشأته.

و كذلك كتاب أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت866هـ) بعنوان : " الروض المعطار في خبر الأقطار "، حيث صُنف معجما جغرافيا لمدن المغرب و الأندلس، استفدنا منه كثيرا في التعريف بالمدن من حيث الموقع و المميزات، و يحتوي على معلومات تاريخية و جغرافية هامة بالمدن.

كما استعنا بكتاب " الاستبصار في عجائب الأمصار " لمؤلف مجهول، و يتضمن معلومات هامة لبلاد المغرب في العهد الموحدي.

أما بالنسبة للمراجع التي اعتمدنا عليها، نذكر أهمها كتاب لصالح بن قربة بعنوان : " عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب "، حيث خصص فقط لهذه الشخصية منذ الولادة إلى غاية وفاته في مختلف الميادين.

بالإضافة إلى كتاب مراجع عقيلة الغناي بعنوان : " قيام دولة الموحدين "، فقد احتوى على معلومات قيمة حول بوادر تأسيس هذه الدولة.

الصعوبات :

و فيما يخص الصعوبات فإنه من الطبيعي أن تواجه الباحث العديد من العراقيل و التي قد تحول بينه و بين الوصول إلى الحقيقة العلمية. سواء أكانت متوقعة أو ظاهرة أثناء الدراسة،

و ككل بحث أكاديمي فإنه لا يخلو من الصعوبات الروتينية، و من بينها و أهمها الاختلاف و التضارب الكبير في آراء المؤرخين حول حادثة ما أو تاريخ معين، ما صعب علينا أحيانا الإنفراد برأي واحد، و كذا صعوبة قراءة بعض المصادر مما صعب طريقة فهم و استخراج المعلومات منها.

و في الأخير أعتذر عن أي تقصير بدر مني، و إن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان.

مدخل

أوضاع المغرب قبيل قيام دولة الموحدين.

و بداية الدعوة التومرتية.

أوضاع المغرب قبيل قيام دولة الموحدين

شهد بلاد المغرب قبيل قيام دولة الموحدين أوقات صعبة و أوضاع متدهورة في مختلف الميادين السياسية منها و الاجتماعية و كذا الدينية، فشكلت بدورها منعطفا تاريخيا لهذه المنطقة، و التي تمثلت في ما يلي :

أ- الوضع السياسي :

رغم الطابع المميز لسياسة المرابطين المتمثل في النزعة الجهادية و التوحيد، و إقامة وحدة سياسية عقائدية بالمغرب، و هذا الهدف الذي بنيت من أجله أسس هذه الدولة التي كانت بذرة للفقيه الداعي المغربي عبد الله بن ياسين[1] (ت451هـ-1059م)، الذي تفقه و تتلمذ على يدي الفقيه وجاج بن زلو اللمطي (ت445هـ-1053م) ، فتمكن ابن ياسين من غرس مبادئه في قلوب أتباعه المرابطين، و استطاع يوسف بن تاشفين (ت500هـ-1006م) [2] من تجسيدها و تحقيق وحدة سياسية دينية، و أرسى قواعد الدولة المرابطية و إتخاذه لمدينة مراكش عاصمة لها[3] ، إلا أن وضع الدولة قد شهد ضعفا كبيرا في أواخر عهد الخليفة علي بن يوسف، نتيجة لعدة عوامل. من بينها انحرافهم عن نظام الشورى إلى الوراثي الذي سبّب نزاعا عنيفا بين أبناء علي بن يوسف على ولاية العهد و تولي السلطة[4]، و كذا الاضطرابات السياسية داخل الدولة، و خوضها

(1) **عبد الله بن ياسين** : العلامة الفقيه، صاحب لمتونة و مؤسس الدولة المرابطية بالمغرب، و ذلك بعد أن رأى فيهم الحزم و الإرادة في إقامة الدين و إحياء السنة، و توفي سنة 451هـ. **أنظر**: السملالي : الإعلام بمن حلّ مراكش و أغمات من الأعلام، مرا : عبد الوهاب بن منصور، ط2، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص ص 183،184.

(2) **يوسف بن تاشفين** : هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين و ملك الملثمين (المرابطين)، و هو الذي اختط مدينة مراكش، قام بتوحيد المغرب و الأندلس تحت الحكم المرابطي، توفي سنة (500هـ). **أنظر**: ابن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس (د ط)، مج5، دار صادر، بيروت، 1977، ص 112-125.

(3) ابن أبي زرع الفاسي : (ت 710هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، 1972، ص 140-143.

(4) محمد حسن العيدروس : المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م، ص 178.

للمواجهات العسكرية ضد النصارى التي كانت حتمية لفقدان الدولة للكثير من خيرة قادتها و علمائها، أمثال : سير بن أبي بكر، محمد بن مزدلي، محمد بن فاطمة، محمد بن الحاج...[1]

بالإضافة إلى الاستبداد في السلطة على الرعية من قبل الحكام و الولاة المرابطين في أواخر عهد علي بن يوسف[2] بسبب ضعف حال هذا الأخير، فأصبح كل واحد منهم يرى أنه أحق بالأمر من غيره، فاستغلوا الوضع و انتشر الفساد، فظهرت المعارضة في الأندلس ضد المرابطين، كما شكلت سلسلة الهزائم المتكررة ضد النصارى ضررا كبيرا، و منها موقعة قتندة في سنة (514هـ-1120م)، و موقعة القليعة سنة (523هـ-1129م) و التي شهد فيها المرابطون الهزيمة و خسائر انعكست سلبا على الدولة.[3]

كما أن مكانة الفقهاء في الدولة المرابطية و التي تجاوزت الحد الطبيعي، حيث وصل بهم الأمر إلى التدخل في الشؤون العسكرية و كذا الإدارية، بل و بلغ بعضهم إلى حد الثراء المفرط من المال و بناء القصور[4] ، فيذكر المراكشي ذلك في كتابه المعجب و يقول : " و لم يزل الفقهاء على ذلك، و أمور المسلمين راجعة إليهم، و أحكامهم صغيرها و كبيرها موقوفة عليهم، طول مدته، فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، و انصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، و اتسعت مكاسبهم " ، مما أدى ذلك إلى استبداد هذه الفئة من الفقهاء بالسلطة.[5]

(1) **ابن خلدون** : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا : سهيل زكار، (د ط) ، ج6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2000م، ص 250-253.

(2) **علي بن يوسف** : هو علي بن يوسف بن تاشفين، حيث ولّي بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين سنة 500هـ، و توفي سنة 537هـ. **أنظر**: البيدق (ت أواخر القرن 6 هجري)، أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين، (د ط)، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، 1971، ص40.

(3) عبد الواحد المراكشي (ت647هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح : محمد سعيد العريان، (دط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، (د ت)، ص 181.

(4) عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/1129) ، رسالة دكتوراه نالت مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر ، ط1 ، 1983م ص 45.

(5) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص235.

ب- الوضع الاجتماعي :

كما السياسي الأثر البالغ على الحياة الاجتماعية التي عاشها المرابطون، فلابد أن ما سعوا إليه من توحيد سياسي يقوم على الفقه المالكي، لم يكن له بُعد اجتماعي بصفة مرضية.[1]
فلما قام يوسف بن تاشفين بتوحيد المغرب و الأندلس انجر ورائه العديد من الآثار السلبية التي انعكست على المغرب، فكان المجتمع المغربي يغلب عليه طابع البداوة، على خلاف المجتمع الأندلسي المتحضر، و لما توحد القطران انتقل الطابع الحضري إلى المدن الكبرى بالمغرب من بينها مراكش، لكن الأمر حال دون ذلك، فقد انتشر اللهو و المجون في هذه المدن و أنواع الفسوق و المظاهر المشينة للأخلاق، على عكس ما كان عليه يوسف بن تاشفين و ابنه علي من التقى و الورع.[2]

و كما شهد علي بن يوسف في أواخر عهده ضعفا شديدا مما أدى إلى استبداد أكابر المرابطين من الأمراء و رغبتهم في منصب الخليفة، فنازعوه في ذلك، و فرضوا هيمنتهم على الرعية مما سبب تفككا داخليا للدولة، فيصفه المراكشي بقوله : " و اختلت حال أمير المسلمين رحمة الله عليه بعد الخمسمائة اختلالا شديدا، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، و ذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد و دعواهم الاستبداد، و انتهوا في ذلك إلى التصريح، فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين و أحق بالأمر منه ".[3]

كما كان للنساء نصيب من هذا الفساد، فأصبحت النساء تستولي على الأحوال و أسندت إليهن الأمور، فصارت كل امرأة من كبار قبائل لمتونة و مسوفة وراء كل شرير، و انتشار الفساد و الآفات الاجتماعية، و تفشي الخمر، و حال أمير المسلمين علي تزداد سوءا، و ضاعت من يده زمام الأمور و تمسك فقط باسم إمرة المسلمين، و أهمل أمور الرعية كل الإهمال.[4]

(1) عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح، ص 48.
(2) ابن ابي زرع الفاسي : المصدر السابق، ص 163-164.
(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 241.
(4) نفسه، ص 241.

ج- الوضع الديني :

حاول فقهاء المرابطين إلزام الناس على العمل بفروع مذهب مالك رحمه الله و وصل بهم الحال إلى العمل بمقتضاها و نبذ غيرها، أي منع بقية المذاهب السنية الأخرى، مما أدى هذا الانغلاق إلى الجمود الفكري، و مما لابد من سقوط دولة المرابطين كان نتيجة لهذا التعصب الأعمى للفكر العقائدي[1] ، و كذا تخلي بعض الفقهاء عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و انغماسهم في الملذات و الشهوات و جمع الثروات[2]، و هذا ما أدى إلى ظهور السفور و اختلاط النساء بالرجال، بل و حتى تدخل المرأة في السلطة و البيع و الشراء في الأسواق، مما جعل الرعية المسلمة تنفر من دولة المرابطين.[3]

و أقدم أمير المسلمين علي بن يوسف بعد فتوى أجمع عليها فقهاء قرطبة و على رأسهم قاضي قضاتها أبو عبد الله محمد بن حمدين على إحراق كتاب الإحياء للغزالي و الذي جعلوه سببا في زوال ملكهم و ذهاب دولتهم، و أمر بقتل و مصادرة أموال كل من وجد عنده شيء من كتبه، و نبذوا علم الكلام، فقرر الفقهاء عند أمير المسلمين بتقبيح علم الكلام و تكفير كل من يخوض فيه و أنه بدعة في الدين.[4]

كل هذا يدل على ضعف أمراء المرابطين من أبناء علي بن يوسف و عدم قدرتهم على تسيير شؤون دولتهم مما أدى إلى انتشار الفساد و التفكك الداخلي للدولة، و أخذ الناس يتذمرون من الوضع و يستجيبون للدعوة الجديدة للداعي محمد بن تومرت.

(1) ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد مكي، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د ت)، ص14.

(2) الناصرى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية و الموحدية)، تح: جعفر الناصرى و محمد الناصرى، ج2، (د ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 74 .

(3) مراجع عقيلة الغناي : قيام دولة المرابطين، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008 ص 31.

(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص ص 236،237.

بداية الدعوة التومرتية :

كانت بوادر قيام الدولة الموحدية على يد محمد بن تومرت[1]، في شكل دعوة دينية و فكرية و روحية، و هو من منطقة السوس في جنوب المغرب[2]، من قبيلة تدعى " هرغة "[3] من قوم يقال لهم " إيسرغينن " و هم من الشرفاء الناطقون بلسان المصامدة، فكان محبا للعلم و المعرفة منذ طفولته و كثيرا ما يلازم المسجد للصلاة و قراءة القرآن، و لما كان المشرق في ذاك العصر مكان استقطاب العلماء و الراغبين في العلم، قرر هو أن يكون المشرق وجهته و طلب العلم غايته و في أواخر القرن الخامس للهجرة انطلق في رحلته.[4]

و كان عالما بالشريعة حافظا للحديث و عارفا بالعربية، وصل في رحلته إلى العراق و التقى بأبو حامد الغزالي[5] و تتلمذ على يديه، مما زاد في حبه للعلم و التأثير في شخصيته العلمية و الفكرية، و كان الغزالي كلما رأى ابن تومرت يقول : " لابد لهذا البربري من دولة "، و ذلك لما يتصف به من ذكاء و فطنة و إلمام بالعلوم.[6]

---

(1) **محمد بن تومرت** : هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء ابن رباح بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، و والده عبد الله بن تومرت ولد سنة 491هـ و توفي سنة 524هـ. **أنظر**: أبي عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح : محمد ماضوي، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص 43.

(2) ابن خلكان : المصدر السابق، ص ص45-46.

(3) **هرغة** : هي قبيلة مصمودية اسمها البربري أرغن، مساكنها جنوبي وادي سوس إلى الشرق من مدينة رودانة. **أنظر**: البيدق: المصدر السابق، ص33.

(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 245.

(5) **أبو حامد الغزالي** : هو أبو حامد محمد الغزالي الصوفي و له مدرسة سميت باسمه مدرسة أبي حامد، و من أشهر كتبه كتاب الإحياء الذي أقدم أمير المرابطين علي بن يوسف على إحراقه فكان سببا في زوال ملكه. **أنظر**: ابن عذاري المراكشي (ت أواخر القرن 7 هجري)، البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب (قسم الموحدين)، تح : محمد إبراهيم الكتاني و آخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص 59.

(6) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية ، 1286م ، ص 107.

و قد أمضى خمسة عشر سنة في الدراسة و التحصيل و زاد من العلوم العقلية و النقلية، و ضبط الأصول و علم الكلام، ثم عاد إلى المغرب، إلا أن رحلة العودة إلى المغرب قد استغرقت أربع سنوات، و عند وصوله إلى مصر نزل بالإسكندرية حيث التقى بأبي بكر الطرطوشي فأخذ منه المواعظ و درس من كتابه " الحوادث و البدع " ، و غرس فيه روح العزم على مقاومة ما يخالف الشريعة ثم أكمل سيره، فكان كلما مر على مدينة و قرية يقوم بنشر العلم فيها و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[1]

و هو على هذا الحال حتى دخل المهدية[2] ليجعل بعد ذلك أحد مساجدها مقرا لتدريس العلم، حتى انتشر خبره في المدينة لحسن دهائه و علمه و التف الناس من حوله و أحبوه مما أحدث اضطرابا في المدينة و جعل علي بن يحي بن تميم أمير إفريقية يحضره في مجلسه رفقة الفقهاء، و أظهر له الاحترام لكنه أمره بالرحيل و مغادرة المهدية لحماية مصالحه و ملكه خوفا من وقوع الفتن.[3]

و لما غادر منها أكمل سيره إلى أن وصل إلى بجاية[4] سنة (511هـ-1117م)، و أقام بها مدة طويلة متخذا بها مدرسة للتعليم في أحد مساجدها، و لما دخل قرية ملالة قرب بجاية كان لقائه، فيها بعبد المؤمن بن علي، فكان شابا قد لمح فيه ابن تومرت الذكاء و العظمة فقربه إليه لمساعدته على إصلاح الفساد.[5]

(1) ابن خلكان : المصدر السابق، ص46،47 .

(2) **المهدية** : و هي مدينة عظيمة بناها عبيد الله المهدي، بينها و القيروان ستون ميلا أحاط بها البحر من جميع جهاتها إلا من الجانب الغربي فيه بابها و لها أسواق مبنية بالصخر الجليل. **أنظر:** مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 1852م، ص ص 7-8.

(3) ابن القطان : المصدر السابق، ص 40.

(4) **بجاية** : هي مدينة عظيمة بينها و قلعة حماد مسيرة أربعة أيام تحيط بها جبال شامخة حيطانها بالرخام الأبيض، **أنظر:** مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 1852م، ص ص 19-20.

(5) البيدق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971 ص 19.

كان بن تومرت يختار أصحابه ممن يرى فيهم صفات الذكاء و الإخلاص فمن الذين كان لهم دور هام في دعوته هو عبد الله الونشريسي.[1] و قد واصل تنقله إلى أن دخل فاس و ألقى بها تعاليمه حتى سنة (514هـ-1120م)، ثم طرد منها، فتوجه إلى مراكش و واصل عمله.[2]
و لما أُخرج من مراكش توجه بعدها إلى قرية تدعى تينملل[3]، و التي استقر بها و دعى بها و فيها بايعه أتباعه تحت شجرة الخروب سنة (515هـ-1121م)، فكان عبد المؤمن هو أول من بايعه ثم سائر أصحابه، و هنالك لقب بالمهدي، و التف حوله من سائر قبائل المغرب الأقصى، ثم بُويع مرة أخرى سنة (517هـ-1123م) فدخلوا في طاعته[4]، و سمي أتباعه (بالموحدون)[5] ، و سميت دعوته بدعوة التوحيد، و لشدة إخلاصهم و طاعتهم للمهدي كان لو أمر أحد منهم بقتل نفسه لفعل.[6]

و من هنا شرع المهدي بن تومرت في مهمته بنشر دعوته، فكان يقوم بالطعن في دولة المرابطين و يتهمهم بالخروج عن الدين، و دائما ما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و فرض الجهاد و الاعتقاد بالإمامة، و أنه هو المهدي، و اعتبر التوحيد هو أساس الدين الإسلامي، فكانت هذه أسس دعوته.[7]

(1) **عبد الله بن محسن البشير الونشريسي** : من أهل المغرب الأوسط وهو من أهل العشرة قاد عددا من حملات ضد المرابطين إلى جانب المهدي و توفي في وقعة البحيرة (524هـ/1130م)، **أنظر**: البيدق : نفسه، ص 19.
(2) نفسه، ص 39.
(3) **تنملل** : هي جبل عال جدا شديد البرودة يزحم بالسكان فيه من كل جهة وعلى قمته مدينة تحمل اسمه عامرة كذلك و مزدانة بمسجد جميل و يخترقها نهر جار فيها. **أنظر**: حسن بن الوزان الفاسي (ت960هـ)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 141.
(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 254.
(5) **الموحدون** : هم الذين يعتقدون بوحدانية الله فيما يتعلق بالتركيب، فيرون أنه ليس مكونا من إزاء اعتقادهم بوحدانيته في الوجود، و هم المؤمنون لأنه ليس على الأرض من يؤمن إيمانهم، **أنظر**: لخضر سيفر، المرجع السابق، ص220.
(6) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 359.
(7) البيدق : المصدر السابق، ص37.

يعتبر هذا النجاح الذي حققه ابن تومرت في نشر تعاليمه و كسب قلوب الناس و الكثير من الأتباع دليلا على ذكائه و حنكته و فطنته، و تفقهه الكبير و علمه الواسع، فكل هذه الصفات التي تميز بها عن غيره جعلته محط إقبال و ترحيب لأهل المغرب بين مختلف القبائل.

الفصل الأول

عبد المؤمن بن علي و لقائه بابن تومرت.

عبد المؤمن بن علي و لقائه بابن تومرت

بعد أن شرع ابن تومرت في نشر أفكاره و مبادئه في المغرب، و إيجاده الشخص الذي يكون ساعده الأيمن في هذه المهمة و خرّيج علمه و معرفته، و هو عبد المؤمن بن علي الذي اختاره المهدي من بين أصحابه، و الذي سيكون قدوة في مسيرته لتحقيق غايته.

المبحث الأول : مولده و نسبه.

هو أبو محمد بن عبد المؤمن بن علي[1] بن يعلى بن مروان بن نصر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحي بن و رزاخ بن صطفور ابن نفور بن مطاط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان[2]، القيسي[3] الكومي.[4]

ولد عبد المؤمن بن علي في قرية صغيرة تسمى تاجرا[5] بتلمسان و هي قرية صغيرة على بعد بعد خمسة كلم تقريبا من مرسى هنين[6] ، واقعة بالقرب من مدينة ندرومة وسط منطقة غنية بالغابات.[7]

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان، مج 3، ص 237.

(2) ابن أبي زرع الفاسي : (ت 710هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، 1972، ص 183.

(3) بن خلكان : المصدر السابق، ص 237.

(4) **الكومي** : نسبة إلى كومية بضم الكاف و هي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان، **أنظر**: ابن خلكان، نفسه، ص 240.

(5) **تاجرة** : بفتح الجيم و الراء بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين سواحل تلمسان، و هي قرية على ساحل البحر بتراب قبيلة بني عابد من حوز ندروة، **أنظر**: ياقوت الحموي : معجم البلدان، (د ط)، مج 2، دار صادر بيروت، ص05.

(6) **هنين** : مدينة صغيرة بناها الأفارقة و هي أنيقة حسنة و بها ميناء صغير محروس ببرجين كل منهما في جهة و تحيط بها أسوار عالية تقع بجبال تراوة على ساحل المتوسط، بين مصب نهر تافنة و مرسى الغزوات. **أنظر**: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 183.

(7) صالح بن قربة : عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، (د ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007 ص 5.

و قد اختُلف حول سنة ولادته، فهناك من ذكر سنة (487هـ-1094م)[1]، و ذُكرت سنة (490هـ-1097م)[2]، و توفي سنة (558هـ-1162م) على عمر ناهز 63 أو 64 سنة.[3]

و كان عبد المؤمن إذا ذُكرت كومية في نسبه، يقول : " لست منهم ، وإنما نحن من قيس عيلان بن مضر، و لكومية علينا حق الولادة بينهم ، و هم الأخوال ".[4]

و هناك من ينسبه إلى النسب الشريف لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فيقول البيدق في كتابه المقتبس : " الخليفة من ولد سليم بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضر جد النبي عليه الصلاة و السلام لا شك في ذلك، نزل أجداده ساحل تلمسان، فارين من بعض الفتن بالأندلس و جاور بعض مطامطة إخوة زناتة فنسب ولده إليهم بالجوار و الحلف و هذا مما لا شك فيه عن أهل العناية بهذا الشأن ".[5]

و كان له ستة عشرة ولد ذكر، و هم : محمد، علي، يوسف، عمر، سليمان، عثمان، يحي، إسماعيل، الحسن، الحسين، عبد الله، عبد الرحمن، عيسى، موسى، إبراهيم و يعقوب.[6]

(1) عبد الواحد المراكشي : ص 265.

(2) ابن خلكان : المصدر السابق، ص 239.

(3) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح : محمود مكي،(د ط)، دار الغرب الإسلامي،(د ت)، ص 208.

(4) حسين عبد الرحيم : دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت و إقامة دولة الموحدين في الغرب الاسلامي، المشرف : محمد عبده حتامله، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1993م، ص 39

(5) البيدق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح : عبد الوهاب بن المنصور، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971م، ص ص 14-15.

(6) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، 266.

المبحث الثاني : نشأته العلمية.

نشأ عبد المؤمن بن علي في أسرة متوسطة، بحكم أن والده كان وسطا في قومه يعمل في الفخار، أي يصنع من الطين الأواني الفخارية و يبيعها، و كان رجلا عاقلا شريفا.[1]

و أمه (حرة) من قوم بنو مجبر و هي من كومية.[2] و قد جاء في رواية أن والد عبد المؤمن كان منشغلا في صناعة الفخار، إذ سمع دويا فالتفت و شاهد سحابة من النحل غطت ابنه بالكامل و الذي كان نائما، فلما رأت أمه ذلك فزعت و خافت عليه، إلا أن والده بقي هادئ و طمأنها، و بعدها طار النحل عنه، فلما أفاق الصبي عبد المؤمن سالما لا يشكو من ألم، تعجبا والداه لما حدث، فتوجه أبوه إلى أحد حكماء القرية و سأله عما حدث، فقال له الحكيم : يوشك أن يكون لابنك شأن يجتمع عليه طاعة أهل المغرب.[3]

كان عبد المؤمن محبا للقراءة و العلم منذ طفولته، و إقباله الشديد لطلب العلم دفعه إلى ملازمة المسجد للصلاة و سماع الدروس و تلاوة القرآن، فتعلم بعض العبادات كالصلاة و الصوم و الزكاة و ألمّ بشيء من السيرة النبوية الشريفة، و كان والده أكثر ذهابا إلى مدينة تلمسان لأن عمله في التجارة، و لأن جامع تلمسان كان مركز ديني للعبادة و مدرسة للتعليم في الدروس الدينية و اللغوية مثله مثل باقي المساجد الكبرى في ذلك العصر فقرر أن يلحق ولده بهذا المسجد لإتمام دراسته.[4]

(1) بن خلكان : المصدر السابق، 237.

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، 265.

(3) الذهبي : (748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح : شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، ج 20، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1958م، ص 366.

(4) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 8.

و درس عبد المؤمن في تلمسان على يد " الشيخ عبد السلام البرنسي " ، هذا الأخير الذي كان إمام عصره في علوم الفقه و الحديث و التفسير و الكلام.[1] و من صفات عبد المؤمن أنه كان أبيض اللون، و شعره شديد السواد، ذا وجه جميل، و معتدل القامة، جميل الصوت، ذكيا فصيح اللسان، كان محببا إلى النفوس، ما رآه أحد إلا أحبه.[2]

المبحث الثالث : لقائه بابن تومرت.

بعد الرحلة التي قضاها محمد بن تومرت في المشرق لطلب العلم، و بعد أن نال ما يكفي من التحصيل العلمي و المعرفي، عاد إلى المغرب، و نزل بالمهدية التي كانت انطلاقته نحو المغرب الأقصى رفقة أصحابه الثلاث و من بينهم البيدق، كان كثيرا ما يتوقف في كل مكان يمر به لإلقاء الدروس و تقديم المواعظ و محاولة الإصلاح، حتى وصل إلى بجاية، فدرّس فيها و قام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.[3]

و بقي في بجاية مدة من الزمن إلى أن غادرها و ذهب إلى قرية ملالة، و هنا كان لقائه بعبد المؤمن الذي كان مسافرا مع عمه إلى المشرق لطلب العلم، فنزلا في مسجد الريحانة و صليا الصبح فيه، حتى سمعا الناس يقولون هيا بنا إلى الفقيه، فسألهم عبد المؤمن من يكون هذا الفقيه؟ فقالوا له : " السوسي عالم المشرق و المغرب و ما مثله إنسان " ، فطلب من عمه أن يذهب و يتبين شأن هذا الفقيه، فسار و عمه حتى حلا عليهما الليل و بعد أن صلا و ناما، فإذ به رأى في المنام أن الناس يبايعونه و لما استيقظ أخبر عمه بما رآه فأوصاه أن يكتم رأياه و أخبره أن أمه رأت في المنام أيضا و هي حامل به كأن النار تخرج منه و تحرق المشرق و المغرب و القبلة و الجوف.[4]

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 8.

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 266.

(3) لخضر سيفر : المرجع السابق، ص 255.

(4) البيدق : أخبار المهدي، ص ص 14،15.

و لما علم عبد المؤمن بكل هذا أصر على لقائه بابن تومرت الفقيه، و ذهب إلى المسجد الذي كان فيه الفقيه، و ما إن رآه الفقيه حتى طلب منه الدخول فلما دخل، قال له الفقيه : ما اسمك يا فتى؟ فأجابه : أنا عبد المؤمن، فقال الفقيه : و أبوك علي؟ فأجابه : نعم، فتعجب الناس، ثم قال الفقيه : أين مقصدك؟ فرد عليه : أطلب العلم، فقال له : قد وجدت مطلبك.[1]

و ثم أطلعه ابن تومرت على سر كتاب " الجفر " و أن فيه كل صفاة عبد المؤمن بن علي، و ضمه إليه، ففقهه و صحِبه و أحبه و أفضى إليه أسراره، و دائما ما يعده الإعداد اللازم للقيادة و الزعامة، و أمر أتباعه بطاعته و كان دائما ما يقول لهم : صاحبكم هذا غلاب الدول[2] ، و يقول فيه : (من البحر البسيط)

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَخْلاَقٌ خُصِصْتَ بِهَا فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَ مُغْتَبِطٌ

فَالسِّنُّ ضَاحِكَةٌ ، وَ الْكَفُّ مَانِحَةٌ وَ الصَّدْرُ مُنْشَرِحٌ ، وَ الْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ.[3]

استطاع ابن تومرت نشر دعوته و كسب العديد من الأتباع، حيث بايعه العديد من المصامدة و من خلالهم قام بتكوين جيش قوي و لما كانت مدينة تينملل[4] مكان استقراره و أصحابه اتخذ منها قاعدة لتنظيم شؤون الموحدين و انطلاقة لغزواته ضد المرابطين، و في سنة (515هـ-1121م) أعلن عن نفسه أنه المهدي، و ذلك بعد جمع كل أتباعه و خطب قائلا : " الحمد لله ... لا راد لأمره ... و صلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي... يبعثه الله بالحق، يملأ الأرض عدلاً، مكانه المغرب الأقصى ... "، فاستمع له أصحابه و قالوا أنت المهدي.

و لما استمر عدد أتباعه في تزايد كبير من مختلف القبائل، كان لابد على المهدي من تنظيمات جديدة ليسيطر عليهم و يحافظ على تبعيتهم، فقام بإنشاء مجلس مكون من أصحابه المقربون و هم على النحو التالي :

أهل العشرة : أو ما يعرف بأهل الجماعة، و هم من خيرة أصحابه، عبد المؤمن بن علي، و أبو محمد البشير، و أبو حفص عمر بن علي، و سليمان بن خلوف، و إبراهيم بن إسماعيل

(1) البيدق : المصدر السابق، ص 15-17.

(2) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 693.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 266.

(4) **تينملل** : قرية واقعة بتراب بطن فرغوسة أحد بطون قبيلة كدمة (وكدمت) الكندافية، على بعد كلم واحد من الطريق المؤدي من مراكش إلى رودانة بها قبر المهدي و عبد المؤمن في المسجد العظيم، **أنظر**: البيدق : أخبار المهدي، ص 17.

الخزرجي، و أبو محمد عبد الواحد الحصري، و أبو عمران موسى، و أبو عثمان، و أبو يحي بن بخت، و أبو عبد الله بن ملوية.[1]

أهل الخمسين : و هذا المجلس مكون من مختلف القبائل : ستة من هرغة، و أربعة عشر من تينملل ، و ثلاثة من هنتانة[2]، و اثنان من جنفيسة ، و أربعة من صنهاجة ، و ثلاثة من هسكورة، و واحد من سائر، و خمسة من الغرباء ، و يضاف إليهم أهل العشرة.[3]

أهل السبعين : و هذا المجلس يضم الخمسين و عشرين من ممثلي قبائل أخرى.[4]

بهذا يكون المهدي قد أشرك كل القبائل التابع له و تفادى الصراع و الفرقة بينهم، لينطلق الآن في مهمته الرئيسية و هي القضاء على المرابطين و ذلك بعد تنظيم جيش من الموحدين و بث فيهم روح القتال باسم الجهاد، و بدأت الاشتباكات الأولى مع بعض قبائل المرابطين من القرى القريبة منه و كان النصر في أغلبها حليف الموحدين، فاستولى عليها و ذلك في نفس السنة.[5]

و كان دائما ما يشارك عبد المؤمن فيها و يوكله على إمرة الجيش في أغلبها لشجاعته و دهائه، ثم تجددت هذه الاشتباكات في سنة (517هـ-1123م)، و تغلب فيها الموحدون بقيادة "عبد الرحمان بن رنجو " ، و الذي تمكن من الاستيلاء على قلعة " تاسغيمت "[6] و التي تعتبر من أعظم قلاع المرابطين، و حملت أبوابها إلى تينملل، و في سنة (518هـ-1124م) فتح الموحدون بلاد ماغوسة[7] و هناية[8] الواقعة على واد نفيس[9]، حيث بايعته قبائل كدميوة[10]، ثم فتحوا بلاد بلاد رجراجة، و سار في بلاد المصامدة فدخل في طاعته جمع كثير من قبائل المصامدة.[11]

---

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ص 122،123

(2) **هنتاتة** : و هي أحد قبائل المصامدة و موطنهم في جبال درن بمراكش **أنظر**: ابن خلدون: المصدر السابق، ص 360.

(3) ابن القطان : المصدر السابق، ص ص 30،31.

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 123.

(5) نفسه، ص ص 175،176.

(6) **تاسغيمت** : و هو دوار معروف إلى اليوم، و موجود ببطن كوجكال من قبيلة تكانة جنوبي مدينة مراكش، بنى فيها المرابطون حصنا. **أنظر**: البيدق: المقتبس، ص45.

(7) **ماغوسة** : اسم بطن من قبيلة كدميوة بقيادة أمزاميز من إقليم مراكش. **أنظر**: البيدق: نفسه، ص46.

(8) **هناية**: هي قبيلة مسماة بالسلحة و ناين، واقعة بقيادة تاليويني من إقليم ورزازات، لها ثمانية بطون. **أنظر**: البيدق: نفسه، ص42.

(9) **واد نفيس** : و يقع قرب تينملل. **أنظر**: البيدق: نفسه، ص49.

(10) **كدميوة** : و هي قبيلة مصمودية كبيرة تسكن في الجنوب الغربي لمراكش. **أنظر**: البيدق: نفسه، ص34.

(11) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 693.

و في سنة (524هـ-1130م)، و بعد هذه التوسعات و الانتصارات و جيش الموحدين في تزايد، قرر ابن تومرت ضرب المرابطين في عقر دارهم، حيث قام بتجهيز جيش كبير بقيادة " الزبير بن علي بن يوسف" قوامه أربعين ألف مقاتل تحت إمرة عبد المؤمن،[1] ثم قال لهم ابن تومرت : " أنتم المؤمنون و هذا أميركم " ، فسار عبد المؤمن بجيشه قاصدا عاصمة المرابطين " مراكش " و التقى الطرفان في موضع سمي " البحيرة "[2] و التي شهد فيها الموحدون أعظم هزيمة نكراء و عرفت بموقعة البحيرة، حيث قتل فيهم عدد كبير، لكن عبد المؤمن نجا من هذه النكبة هو و بعض من أصحابه و عادوا إلى تينملل.[3]

المبحث الرابع : بيعته بالخلافة.

لما توفي محمد بن تومرت على المرض الشديد الذي أصابه و أطرحه الفراش، و ذلك بعد الهزيمة النكراء التي شهدها الموحدون و انتصر فيها المرابطين، حيث قتل منهم عدد هائل، فما لبث المهدي حتى وافته المنية في سنة (524هـ-1130م)، فكفنه عبد المؤمن و صلى عليه و دفنه سرا في مسجد تينملل.[4]

فكانت البيعة من نصيب عبد المؤمن، حيث أنه بُويع مرتين، فسميت بالبيعة الخاصة و العامة، ففي نفس السنة من وفاة المهدي بويع بالبيعة الخاصة سرا من قبل أصحاب المهدي العشرة و ذلك يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان، و أما البيعة العامة فقد كانت بعد سنتين من وفاة المهدي حيث تمت بيعته من طرف أهل العشرة و أهل الخمسون و الموحدون، و ذلك يوم الجمعة عشرين ربيع الأول سنة (526هـ-1132م) بجامع تينملل.[5]

(1) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 228.

(2) **البحيرة** : و تعرف أيضا ببحيرة الرقائق ببسيط و كان أمام باب الدباغين و باب إيلان من مراكش، جرت به الواقعة الكبيرة سنة (524هـ). **أنظر**: البيدق: المصدر السابق، ص40.

(3) عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ص 693،694.

(4) الصلابي : دولة الموحدين، (د ط)، دار البيارق للنشر، عمان، 1998، ص 98.

(5) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص184.

و قيل أن أصحاب العشرة لما علموا بخبر الوفاة ، قد رغب كل منهم بالخلافة، و بما أنهم كانوا من قبائل شتى أرادت كل قبيلة الزعامة و قيادة الموحدين، فتنافسوا في ذلك، و خوفا من الصراع و التشتت اجتمع أهل الخمسين مع أهل العشرة و استطاعوا الوقوف على رأي واحد و وقع خيارهم على عبد المؤمن أن يكون خليفتهم.[1]

وقد تعددت أسباب بيعة عبد المؤمن بالخلافة، فبداية الأسباب أن المهدي بن تومرت دعاهم لذلك و دائما ما يثني عليه و يؤثره، و يقدمه للصلاة على غيره، و قبل وفاته بأيام استدعى أهل الجماعة و أهل الخمسين و هم من قبائل متفرقة من المصامدة، فلما حضروا و اجتمعوا به ، قال لهم : قد اخترنا منكم رجلا فجعلناه أميرا عليكم ، هذا بعد أن اختبرناه في كل أحواله، فوجدناه ثابتا في دينه و دنياه، و هو عبد المؤمن فأطيعوه في أمره.[2] و هناك من يرى أن السبب في ذلك يعود إلى كون أن عبد المؤمن ليس من المصامدة البرانس، الأمر الذي انفرد به عن غيره.[3]

و السبب الآخر هو أن عبد المؤمن بعد وفاة المهدي أقدم على تربية شبل أسد و طائر، فانس به الأسد ، و دربه على أمر واحد، فكلما رأى عبد المؤمن ذهب إليه و جلس بين يديه، و درب الطير و علمه على النطق باللسان العربي، فكان هو الآخر كلما رأى عبد المؤمن يقول : " النصر و التمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المسلمين " فلما أحسن تدريبهما على ذلك جيدا ، ناد بأشياخ الموحدين و قبائلهم للحضور إلى مجلسه ، فجاؤوا بأجمعهم ، فأعلن أمامهم خبر وفاة المهدي و عزاهم فيه و طلب منهم أن يكونوا متحدين في ما بينهم على قلب رجل واحد و كلمة واحدة، وضرورة أن يختاروا أميرا منهم، و في هذه اللحظة تحت هذه الأجواء طلب من حارس الأسد أن يطلقه و هو الطائر، فصاح الطائر عند ذلك " النصر و التمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المسلمين " ، أما الأسد فقد اشتد زئيرا و ضرب بذنبه و كشر عن أنيابه، ففزع الناس و فروا منه و هو متجه إلى عبد المؤمن فجلس بين يديه و سكن و لم يتحرك، فلما رأى الناس هذا

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص184.

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 262-264.

(3) القرقوطي : جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، (د ط)، دار هومة، 2012، ص 50.

المشهد و تعجبوا لأمر الأسد و الطائر، اتفقوا على تقديم عبد المؤمن على أنه أحق بالخلافة من غيره و بايعوه.[1]

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ص 184،185.

الفصل الثاني

سياسة عبد المؤمن بن علي و جهوده التوحيدية.

سياسة عبد المؤمن بن علي و جهوده التوحيدية.

بعد كل الجهود الفكرية و العسكرية التي قام بها المهدي محمد ابن تومرت و التي امتدت من (515هـ-1121م) إلى (524هـ-1130م)، من أجل نشر دعوته و القضاء على المرابطين، استطاع تحقيق مبتغاه من خلال انتصاراته و إنجازاته، و كل هذا ما هو إلا تمهيدا لظهور شخصية عظيمة على الساحة السياسية، فبوفاة المهدي كانت الخلافة من نصيب عبد المؤمن بن علي هذا الذي سيكمل مسيرته في تحقيق هدفه.

المبحث الأول : توحيد المغرب الأقصى.

بعد أن تولى عبد المؤمن خلافة الموحدين، كان لابد له من القضاء على المرابطين، و توسيع ملكه، و ضم كل المغرب تحت الحكم الموحدي[1] ، فعمل على إخضاع القبائل لدعوة الموحدين بشتى الطرق، و قام بتنظيم شؤون الموحدين و توحيدهم على قلب رجل واحد و تحفيزهم على الجهاد، و بعد تحقيق غايته قرر بذلك استئناف الجهاد.[2]

خرج الخليفة من تينملل بعد أن استقر رأي الموحدين على أن تكون أول غزواتهم تادلة[3] ، سنة (526هـ-1132م) بجيش عظيم بلغ عدده نحو ثلاثون ألف مقاتل، و دخل بهم إلى حصن تازاجورت، و التي كان قائدها يحي بن مريم[4]، فقام الخليفة بقتله هو و من معه من المرابطين، و واصل سيره إلى درعة و استولى عليها و على سائر المنطقة، ثم عاد بعدها إلى تنملل.[5]

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 35.

(2) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ط14، ج4، دار الجيل، بيروت، 1996م، ص209.

(3) **تادلة** : تقع في بلاد المغرب و هي مدينة قديمة، حصنها منيع بناها المرابطون. **أنظر**: محمد بن عبد المنعم (ت900هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م، ص 137.

(4) **يحي بن مريم**: و هو قائد حصن زاكورة (تازاكورت) عندما فتحه الموحدون سنة (526هـ)، و زوجته ميمونة بنت ينتان. **أنظر**: البيدق، المقتبس، ص 37.

(5) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص 225.

و في السنة نفسها، قام الخليفة بفتح تاسغيموت و هي عبارة عن حصن منيع مرتب على الجبل و لها باب من حديد، و بها حامية من هزرجة الذين قاموا بمساعدة الموحدين على فتحه، و من ثم أقدموا على حرق ليلا، و قتل والي الحصن " أبو بكر بن وارصول " و قتل كل من وجد فيها من المرابطين، و بذلك حملت صفائح الباب و ركبت بتنملل، و فتح أيضا حصن جلاوة، و تم ذلك على الشيخ أبو حفص[1] الذي كان دائما ما يعيّنه ابن تومرت على قيادة الغزوات، فدخلوها عنوة و قتل كل من فيها، فقد كانوا من الذين آذوا ابن تومرت.[2]

كما تم لهم فتح حصن هزرجة و مدينة جشجال و التي احرقوها، و من ثم توجه بعدها الخليفة قاصدا جلاجال من غجدامة، فقتل منهم ما يقارب ثلاث مائة رجل. و بعدها دخلت قبائل هزرجة و هسكورة في طاعته، لكن لم يلبثوا حتى عادوا إلى العصيان، أما في سنة (529هـ-1138م) انظم إلى الموحدين كل من صنهاجة الجبل و هسكورة و دخلوا تارودانت و ايجلي.[3]

و في السنة نفسها تابع الخليفة عبد المؤمن سيره لغزو بني ييغز، لأنهم كانوا قد قاموا بقتل " أبا محمد عبد العزيز الغيغائي "[4] ، و الذي كان من أصحاب المهدي بن تومرت، فلما نزل الموحدون على منطقتهم قاصدين القتال و الحرب، أحضر بنو ييغز الجمال و وضعوا على ظهورها الحطب ثم أشعلوا النار و دفعوها نحو الموحدين لإرهابهم، ثم التحم الطرفان تحت معركة عنيفة اشتد القتال فيها، حيث حاول رجلان من بني ييغز قتل الخليفة في مخيمه لكنه كان قد غادر مخبأه، و بعد أن قضى الخليفة أربعين يوما من الحصار و محاولة القضاء عليهم لكنه عاد إلى تينملل بسبب فشله الذي يعتبر خسارة للموحدين.[5]

(1) **أبو حفص** : هو عمر بن يحي الهنتاني الذي كان يعرف بعمر اينتي، و هو من أهل الجماعة، و شارك في تأسيس الدولة الموحدية و توسيع مناطقها سلطانها بالمغرب و الأندلس، و توفي عام 571هـ. **أنظر**: البيدق، أخبار المهدي... ، ص 37.

(2) ابن القطان : المصدر السابق، ص ص 225،226.

(3) نفسه، 226.

(4) **الغيغائي** : هو عبد العزيز بن عبد الله نسبة إلى قبيلة غيائية من أهل دار المهدي و جماعته، و جهه عبد المؤمن إلى بني ييغر سنة 529هـ فقتلوه. **أنظر**: البيدق، المقتبس...، ص 32.

(5) عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 229.

و من هنا أدرك عبد المؤمن سبب قوة و تفوق المرابطين في حروبهم و ذلك باعتمادهم على السهول، فما كان على الخليفة إلا أن يعتمد على الجبال الوعرة و لم يخاطر بالنزول إلى سهولهم، فكانت هذه الطريقة مناسبة للموحدين و ظروفهم العسكرية، على عكس المرابطين الذين ضعفت قواتهم.[1]

و قد تمكن الموحدون من الاستيلاء على منطقة جبال الأطلس و القضاء على المرابطين المتواجدين فيها، رغم الغزوة الطويلة التي دامت سبع سنوات، في الفترة ما بين (534-541هـ)،[2] فمن غزواته ضد المرابطين كانت في تلمسان و وهران و فاس و مراكش :

فتح تلمسان و وهران :

خرج عبد المؤمن بجيش كبير من تينملل متبعا أسلوبه في الاعتماد على الجبال الوعرة و المتوفرة على الخيرات من فواكهها و خضرها لضمان المؤونة للجيش أثناء سيره للحرب[3]، في حين أن تاشفين[4] هو الآخر خرج من مراكش بجيش كبير من الفرسان و الرجال كان أغلبهم من قبائل جزولة، و التقى الطرفان بين تلك الجبال فاقتتلا في معركة عنيفة و التي أدت بتاشفين إلى أمرهم بالرحيل،[5] لكن عبد المؤمن كان مدرك أن قبائل جزولة ليس لها سبيل في العودة إلا عبر المسالك و التي كان تاشفين قد حذرهم من خطورتها، فدبر لهم الخليفة و حضر لهم الكمائن و لحظة وصولهم التف حولهم الموحدون من كل الجهات و قاتلوهم إلى أن هزموهم، فأقبلت بعد ذلك شيوخ قبيلة جزولة لطلب الأمان و الطاعة للموحدين، فعاد الخليفة إلى تنملل بغنائمه، حينها قرر أن تكون تلمسان[6] هي وجهته التالية.[7]

---

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 37.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 306.

(3) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 38.

(4) **تاشفين** : هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين الثالث للدولة المرابطية، كان بطلا عظيما ذا نجدة و حزم و دين، توفي سنة (539هـ). **أنظر**: البيدق، المصدر السابق، ص 37.

(5) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 306.

(6) **تلمسان** : أول بلاد المغرب، و قاعدة المغرب الأوسط، و هي قديمة و بها الكثير من الخيرات و النعم. **أنظر**: الحميري، المصدر السابق، ص 135.

(7) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 15.

في هذه الأثناء توفي أمير المرابطين علي بن يوسف سنة (537هـ-1143م)، فخلفه ابنه تاشفين، حيث وقع خلاف بين قبيلة لمتونة و مسوفة من قبائل المرابطين، و انضمت مسوفة للموحدين، و ما أن دخل عبد المؤمن إلى تاجرا حتى أعلنت طاعتها و ولائها للموحدين مما زاد من قوة هذا الأخير.[1]

ثم غادر جيش الموحدين من تاجرا مباشرة نحو تلمسان، إلى أن نزلوا في موقع يعرف بالصخرتين و هي تل يشرف على المدينة من ناحية الجنوب، ففي سنة (538هـ-1144م) أقام الخليفة حصارا على المدينة فاضطربت أحوال المرابطين فيها، و لما أدرك تاشفين بخطورة الوضع الذي يهدد تلمسان تراجع نحو وهران[2] ، و هم على هذا الحال حتى استطاع الموحدون دخول تلمسان.[3]

و لما علم الخليفة عبد المؤمن بمكان تاشفين في وهران، أرسل إليه جيش كبير بقيادة عمر الهنتاني[4] سنة (539هـ-1145م) ، فأقام عليه الموحدون حصارا شديدا و أشعلوا النيران على باب باب الحصن، فمكث تاشفين متخفيا في مخبأه حتى حلول الظلام، و حاول الهروب على فرسه ليلا ، لكنه وقع بفرسه من أعلى الجبل، و مات على إثرها في يوم 27 من رمضان في نفس السنة ، فتفرق جيش المرابطين، و استمر حصار الموحدين على وهران مدة شهرين، و قطعوا عنهم الماء و الطعام، و ازداد وضعهم سوءا لما يكن لهم من سبيل في المقاومة فطلبوا الأمان من الخليفة.[5]

و ما أن بلغ خبر وفاة أمير المرابطين تاشفين إلى مدينة تلمسان، حتى خرج كل من فيها من قبيلة لمتونة، فلم يبقى في تاجررت إلا العامة، فتقدمة جماعة من أهل المدينة في ستين رجلا من

(1) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 306.

(2) **وهران** : بالمغرب على ساحل البحر، أسست سنة 290هـ، على يد جماعة من الأندلسيين البحريين، لها مرسى كبير للسفن. **أنظر**: الحميري : المصدر السابق، ص 662.

(3) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 15.

(4) **عمر الهنتاتي** : و هو من أهل الجماعة العشرة، و أحد أعوان المهدب المقربين شارك في تأسيس الدلوة الموحدية و توسيع مناطق سلطانها، و توفي سنة (571هـ). **أنظر**: البيدق: المصدر السابق، ص 37.

(5) ابن صاحب الصلاة : (ت594هـ)، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص ص 115-116

أعيانهم ، لكن الخليفة أقدم على قتلهم جميعا ليزرع الخوف في المدينة كلها ، فاشتد خوفهم و استسلم أهل المدينة بأجمعهم.[1]

و هكذا تمكن عبد المؤمن من فتح كلا من مدينتي وهران و تلمسان سنة (539هـ-1145م) ، و نظم شؤونها، و فرض فيها حكم الموحدين و استقر في وهران مدة سبعة أشهر، و ذلك ليعيد الاستعداد مرة أخرى للاستمرار في الجهاد و استكمال الفتح، فولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاني، ليتجه بعد ذلك إلى مدينة فاس.[2]

فتح فاس :

و لما دخل عبد المؤمن علي من تلمسان أقبلت عليه الوفود و الرجال من كل منطقة و التفوا حوله يناصرونه بعد الانتصارات التي حققها و فرض هيمنته و قوته على المنطقة، فقرر الاتجاه نحو مدينة فاس بخمسمائة رجل من صنهاجة و خمسمائة رجل من هسكورة، سار الموحدون حتى دخلوا وجدات و أخضعوها و أطاعه أهلها، ثم استولوا على أقرسيف، فبلغ خبر قدوم الموحدين إلى يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بـ " الصحراوي " و هو قائد فاس[3] ، فخرج هو لمقاتلتهم بألف و خمسمائة مقاتل، لكنه ما لبث حتى انهزم و عاد إلى فاس.[4]

و ثم نزل الخليفة بموضع يقال له "عقبة البقر" حيث قام هناك بتقسيم جيشه إلى فريقين : أحدهما بقيادة أبو بكر بن الجبر[5] مع صنهاجة و هسكورة، المكلف بحصار المدينة فاس، أما بقية الجيش فذهب مع الخليفة و الذي أعد خطة، حيث أمرهم بقطع الأشجار و رميها على النهر

(1) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : (733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد تروجيني ، (د ط) ، ج24، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ت) ، ص ص 159،160.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ص ص 306،307.

(3) **فاس:** مدينة عظيمة، بها نهر كبير يسمى وادي فاس، يقسم المدينة إلى عدوتين (القرويين و الأندلسيين) و هي كثيرة الفواكه و البساتين و الرخاء. **أنظر:** الحميري، المصدر السابق، ص ص 434،435.

(4) البيدق : أخبار المهدي، ص ص 61،62.

(5) **أبو بكر بن الجبر:** من قبيلة صنهاجة و كنيته أبو يحي وهو من أهل الحسنيين. **أنظر:** البيدق، نفسه، ص60.

لتغيير اتجاهه نحو الأسوار ليهدمها و باب السلسلة، فغمرت المياه أحياء المدينة و أغرق بسببها عدد كبير[1] ، ثم قال : " إنا لا نحتاج إلى سور إنما أسوارنا سيوفنا و عدلنا. "[2]

أحكم الموحدون حصارهم على المدينة من كل الجهات حيث استمر هذا الحصار نحو ستة أشهر، فاضطربت أحوال أهل المدينة مما اضطر والي فاس و هو " أبو محمد الجياني " إلى الخروج سرا لملاقات أبوبكر بن الجبر و اتفق معه على فتح أبواب فاس، ففوجئ الصحراوي برؤية الموحدين في الصباح على السور في 14 ذي القعدة سنة (540هـ-1146م). ففر عندها إلى قلعة أمرجو و بعدها عبر إلى الأندلس.[3]

و لما فتح الموحدون مدينة فاس واصل الخليفة عبد المؤمن بعدها حصاره لمكناسة و دخل فاس و استقر بها مدة من الزمن و بعد أن ولى عليها " أبا عبد الله محمد بن الجدميوي "، و يساعده أبو بكر الجياني في إدارة شؤونها، و عاد هو بجيشه إلى مكناسة.[4]

فتح مراكش :

بعد أن عاد الخليفة إلى حصار مكناسة ترك عليها قائده " يحي بن يومور "[5] لإتمام المهمة المهمة و توجه هو بجيشه إلى مدينة مراكش[6] و في طريقه دخل في قتال عنيف ضد جمع كبير من لمتونة، فقتل منهم الكثير و فر الباقون، و أكمل الموحدون سيرهم و دخلوا في قتال آخر ضد حشود من لمطة بالقرب من المدينة، فقتلوهم قتلا شنيعا و أخذ الخليفة غنائمه من الجمال ما يقارب ثمانين ألف جمل.[7]

(1) البيدق : أخبار المهدي، ص ص62،63.

(2) علي الجزائي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 43.

(3) ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق، ص 189.

(4) عبد العزيز السالم : المرجع السابق، ص 699.

(5) **يحي بن يومور**: من أهل الحسنيين. **أنظر**: البيدق، المقتبس ...، ص 32.

(6) **مراكش**: أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ وهي حضيرة بلاد المغرب و دار مملكتها، و كثيرة الخيرات، **أنظر**: الإستبصار، ص208.

(7) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 26.

و ثم أكمل الخليفة سيره عن طريق تادلا و هناك انضم إليه المقاتلون من صنهاجة[1] و هسكورة[2] و نزل بهم على واد " أم الربيع " و استطاع الاستيلاء على أزمور فضم صنهاجة أزمور إلى جيشه و انضم إليه أهل دكالة الذين دخلوا في طاعته، ثم بعث الخليفة " أبا حفص عمر بن يحي الهنتاني " بجيش كبير إلى برغواطة فغزاهم و عاد بالغنائم إلى الخليفة الذي قسم الغنائم على الموحدين و أكملوا سيرهم إلى مراكش.[3]

و قام الخليفة عبد المؤمن في سنة (541هـ-1147م) بوضع قبته الحمراء التي كانت ترمز للقيادة فوق جبل ايجلين المطل على مدينة مراكش، و هناك أمرهم ببناء مسجد و صومعة تكون في الأعلى يراقب منها أعماله الحربية، و استقر فوق الجبل و هو يستعد للغزوة لأنه كان يدرك مدى حصانة هذه و صعوبة اقتحامه لكنه كان ذا حيلة واسعة، حيث كانت مدة إقامته تسعة أشهر في مراكش.[4]

و بعد حصار شديد للموحدين على المدينة و الذي أنهك أهلها و تمكن منهم الجوع، قرر أمير المرابطين إسحاق بن تاشفين و الذي كان مقيم في مراكش الخروج لقتال الموحدين، و كان ذلك اليوم الخامس من شهر محرم من نفس السنة، لكنه هزم في معركة عنيفة أمام قوة الموحدين، و غنمت نحو ثلاثة آلاف من خيولهم، و استمر الحصار نحو تسعة أشهر، و رغم مقاومة أهل المدينة إلا أن وضعهم تدهور و ازداد سوءا و نفذت المؤونة.[5]

و لما أدرك الخليفة ضعفهم أمر باقتحام المدينة في 18 من شوال و ذلك بتسلق الأسوار بالسلالم. فيقول البيدق في ذلك : " فدخل كل من هنتانة و أهل تينملل من باب دكالة بسلمهم، و

(1) **صنهاجة:** فرع كبير البربر البرانس، من ولد صنهاج بن برنس، وهي قبائل عشر. **أنظر:** البيدق، المصدر السابق، ص 34.

(2) **هسكورة :** قبيلة من البربر البرانس. **أنظر:** البيدق، نفسه، ص 35.

(3) أبو العباس السلاوي : (ت1315هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري (د ط)، مكتبة دار الكتاب، دار البيضاء، 1954م ، ص 146.

(4) عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، (د ط)، المكتبة الوطنية، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 137.

(5) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 310.

دخل صنهاجة و عبيد المخزن... من باب الدباغين، و دخل هسكورة مع القبائل من باب ينتان فاستفتحت مراكش و دخلت بالسيف ".[1]

و بعد أن دخل الموحدون المدينة و قتلوا منهم عددا كبيرا، و حاصر أبي الحسن بن وجاج الحصبي " قصر الحجر " الذي اختبئ فيه إسحاق بن تاشفين، حيث حاول الخليفة أن يمنع قائده بن وجاج من قتل إسحاق و أبناء الأمراء، فقال بن وجاج : " ارتد علينا عبد المؤمن فيريد أن يربي علينا فراخ السبوعة " ، مما جعل الخليفة يغضب بشدة و يخرج من مجلسه، فأقدم بن وجاج على قتل إسحاق بن تاشفين و من معه جميعهم.[2]

و بعد القضاء على آخر معاقل المرابطين، و سيطرة الخليفة على مقاليد الأمور في العاصمة مراكش[3]، جمع الموحدون قواتهم و ذهبوا لمساندة أصحابهم في حصار مكناسة و صاحبها بدر من لجوط، و حفروا الخنادق، فطال الحصار عدة أشهر و قيل سنين، فضعف أهل مكناسة من المقاومة و مات الناس من الجوع، و قتل منهم عدد كبير، فأدرك بدر بن لجوط أنه لا سبيل من المقاومة ، فطلب الأمان لأهله و سلم المدينة، و دخلها الموحدون سنة (545هـ-1151م)[4]

المبحث الثاني : ضم المغرب الأوسط و افريقية.

المغرب الأوسط :

كان عبد المؤمن قد اعتمد في تحقيق أهدافه على الحزم و الشدة، و عرف ببراعته في وضع الخطط العسكرية، و اتبع أسلوب التمويه العسكري في الحرب، و استدعائه للولاة و الطلبة و القضاة في الأماكن التي يمر بها بغية دراسة الأوضاع فيها، و كان يخلي الطرق من المارة ، و يأمر بحفر الآبار لجمع المياه، و دائما ما يرافقه أصحاب المهن في جيشه، فعند استراحته يكون قد شكل عبارة عن مدينة فيها مختلف العناصر، و يحرص على ولاء جيشه و الطاعة التامة له،

(1) البيدق : أخبار المهدي، ص 64.

(2) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص ص29،30.

(3) حسن علي : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر،1980،ص 44.

(4) ابن غازي محمد العثماني : (ت919هـ)، الروض الهاتون في أخبار مكناسة الزيتون، (د ط)، شارع المامونية، الرباط، 1952 ،ص7.

و لما انتهى من إعداد قواته البرية و البحرية، أعلن الجهاد و عقد العزم على نصرة الإسلام و المسلمين.[1]

اتجه بجيشه إلى تلمسان ثم دخل الجزائر حيث انظم إليه الحسن الصنهاجي و ساعده في ذلك أعوانه و الذين انظموا إليه ، فكان ممن انظموا إليه : " أبو محمد بن ميمون " قائد الأسطول الذي سهل عليه فتح مدينة بجاية[2] دون قتال، و ذلك بعد أن فر أميرها يحي بن عبد العزيز بن حماد إلى قسنطينة سنة (547هـ-1152م)، حيث أمنه عبد المؤمن، فلحق هو و أسرته بمراكش، و استقروا فيها.[3]

ثم استولى على قلعة بني حماد سنة (547هـ-1152م) ، و ذلك لما توجه بجيش الموحدين لقتال بني حماد و الذين معه، فعندما رأوه هربوا إلى رؤوس الجبال، تاركين قلعتهم و أموالهم التي جمعها عبد المؤمن بعد ذلك و قام بتوزيعها على أصحابه، و هكذا يكون قد ضم المغرب الأوسط، ثم وطد حكمه فيها و عين الولاة.[4]

إفريقية :

و بعد دخول الخليفة بجاية بدون قتال و فرار يحي بن عبد العزيز، لم يدم الاستقرار حتى تجمعت كل من صنهاجية و لواتة و كتامة و غيرهم، و ذلك لقتال الموحدين، و التقى الطرفان في شرق بجاية، و انهزمت صنهاجة و من معها و صودرت أموالهم، ثم دخل الموحدون قلعة بني حماد بالقوة و استولوا عليها، و ذلك بجيش أرسله عبد المؤمن بقيادة ابنه أبا محمد عبد الله و أحرقوها و خربوها و قتلوا فيها ثمانية عشر ألفا و أخذوا منها الغنائم.[5]

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ص 192،193.

(2) ابن الاثير: (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، مرا: محمد يوسف الدقاق، ط4، مج9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص352.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص206.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 236.

(5) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 116.

كما واجههم عرب بني هلال خوفا على مصالحهم و ذلك بمهاجمتهم لمؤخرة جيش الموحدين فأرسل لهم الخليفة فرقتين، واحدة بقيادة عبد الله بن وانودين و الثانية بقيادة يصلان بن ماعز ، لكنها اختلفا و ذلك ما دفع بيصلان إلى العودة و بقي بن وانودين وحده يواجه العرب ، فتمكنوا منه و قتلوه. هذا الأمر جعل عبد المؤمن يأتي بنفسه و أنزل الهزيمة بالأثبج[1] و زغبة[2] و رياح[3] و أدخلهم في طاعته بالقوة، و كان ذلك بسطيف و من ثم عاد الخليفة إلى مراكش سنة (547هـ-1153م) ، و هكذا يكون قد امتلك كل ملك بني حماد بأجمعه.[4]

ثم وجه عبد المؤمن ناظره إلى إفريقية، و بدأ استعداداته العسكرية سنة (553هـ-1157م) و انضم إليه جنود من نواته في إفريقية و أيضا التحق بهم الحسن بن علي الصنهاجي أمير إفريقية، فاستطاع الخليفة ضم تونس بعد حصار شديد برا و بحرا حتى طلب أهلها الأمان، ثم ضم القيروان و سوسه و صفاقس بعد تحريرها من الصقليين سنة (554هـ-1159م).[5]

و بعد أن ضمن ولاء المناطق المجاورة للمهدية، زحف بقواته البرية و البحرية إلى المهدية في نفس السنة و فرض عليها حصارا شديدا، و نصب عليها المجانيق، و لما بلغت أخبار الخليفة إلى ملك صقلية و استيلائه على العديد من مدن إفريقية، أمر أسطوله العائد من غزو جزيرة يابسه و هي إحدى جزر البليار نحو المهدية لنصرة النصارى المحاصرين في المهدية و ذلك من نفس السنة، إلا أن أسطوله فوجئ بضخامة القوات البرية و البحرية المحاصرة للمدينة، و حدثت معركة قصيرة بين الموحدين و الأسطول الصقلي الذي ما لبث حتى لاذ بالفرار،[6] فطال الحصار على المهدية و توالت انتصارات الموحدين و استيلائهم على أغلب المدن، سوسه و صفاقص و طرابلس، و قتل بها خلقا كثيرا من النصارى، فلما توالت هذه الأخبار إلى النصارى المحاصرين

(1) **الأثبج** : كان هؤلاء من الهلاليين أوفر عددا و أكثر بطونا، و كان التقدم لهم في جملتهم. **أنظر**:ابن خلدون: المصدر السابق، ص 30.

(2) **زغبة** : و هي قبيلة إخوة رياح، كانت لهم العزة و الكثرة، و تغلبوا على نواحي طرابلس و قابس. **أنظر**: نفسه. ص 44.

(3) **رياح**: رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية. **أنظر**: نفسه. ص 56.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق، ص ص 235،236.

(5) ابن أبي دينار : المصدر السابق، ص 111.

(6) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 16.

في المهدية و هزيمة الأسطول، استسلموا و طلبوا الأمان لتسليم المدينة و الانسحاب إلى بلادهم فقبل الخليفة بذلك و دخلها الموحدون سنة (555هـ-1161م).[1]

و هكذا استطاع عبد المؤمن ضم كل المغرب من برقة إلى تلمسان، وما أن قام بإصلاح أحوالها حتى هيأ نفسه بالعودة إلى مراكش و الاستعداد مرة أخرى من أجل نصرة الإسلام و المسلمين في الأندلس.[2]

و بعد ذلك عمد عبد المؤمن إلى تنظيم جيشه الذي يتكون من مشاة متطوعين من صنهاجة و زناتة، كما قام بإدخال جنود إفريقيين من عرب بني هلال و أتراك و مرتزقة مسيحيين إسبانيين و سودانيين إلى أن بلغ عددهم ثلاث مائة ألف فارس، و عشرة آلاف من الراجلين بثلاث مائة راية.[3]

تمكن الخليفة عبد المؤمن من توحيد المغرب تحت الحكم الموحدي، رغم المعارضات و الثورات التي قامت ضده سنة (548هـ-1153م) ، و سببها أنه أدخل نظام ولاية العهد على الحكم فجعله حكما وراثيا في أسرته و بُويع ابنه " محمد " و نحي " عمر بن حفص " الذي اتفقوا على خلافته من بعد الخليفة، و أبعد شيوخ الموحدين و أبنائهم عن حكم الولايات، و قام بتنصيب كل أبنائه.[4]

فانتشرت الثورات في كل مكان لتنحيته عن الحكم أو التخلي عن استئثار أسرته بالسلطة، فقد ثار عليه أبو قصبة بن زلدوي في بجاية مستغلا تواجد قوات الموحدين في سطيف لمواجهة القبائل العربية، لكن الخليفة تمكن من هزيمته، ثم ثار عليه أيضا يصلان بن المعز أحد قادة الموحدين في بجاية، إلا أنه هزم و فر إلى سبتة حيث قتل على يد القائد عبد الله بن سليمان، و من الذين عارضوا سياسة الخليفة هما أخوا المهدي بن تومرت " عيسى و عبد العزيز " ، لكن الخليفة نفاهما إلى فاس بدون استعمال القوة ضدهما.[5]

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 198.

(2) ابن الأثير : المصدر السابق، ص 262.

(3) عبد الحق المريني: فكرة تنظيم عبد المؤمن للجيش في مراكش (الجيش المغربي عبر التاريخ) ،ط5، مطبعة المعرفة الجديدة ، الرباط، 1997، ص 33.

(4) البيدق : المصدر السابق، ص ص 139،140.

(5) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 118.

و كل هذا بسبب سياسة الخليفة في جعل الخلافة وراثية في أسرته، و امتدت الثورات إلى جزولة و لمطة في السوس فكانت ثورة هاتين القبيلتين من أشد الثورات ضده، فقد استعمل فيها كل القوة للقضاء عليها، حيث قال الخليفة لأبي حفص : " قامت الناقة بحملها يا أبا حفص " ، فأجابه : " نرقدها إن شاء الله " ، و قد تمكن أبو حفص من هزيمة قبيلتي جزولة و لمطه في السوس و أعادهما للطاعة.[1]

المبحث الثالث : ضم الأندلس.

مع الأوضاع المزرية التي كانت تمر بها بلاد الأندلس بسبب الضعف الكبير للمرابطين و هزائمهم الموالية أمام النصارى من جهة و الموحدون في المغرب من جهة أخرى، مما أدى بدولة المرابطين في الأندلس إلى تفكك وحدتها السياسية، و ظهور إمارات متنافسة، و هذا ما عرف بعصر الطوائف الثاني، و الذي يبدأ من (539هـ-1144م) إلى غاية (552هـ-1157م).[2]
و من ثم قامت العديد من الثورات و الفتن، أهمها ثورة: " أحمد بن الحسن بن قسي أبو القاسم" [3] سنة (540هـ-1145م) ، في مدينة شلب[4] ، و تنقل في أنحاء الأندلس و خلع طاعة المرابطين، و ادعى الإمامة و المهدية، و قد عرف أتباعه " بالمريدين " ، و نظم إليه العديد من رجالات غرب الأندلس، و احتل حصن مرتله، و انضم إليه فقيه شلب محمد بن عمرو بن المنذر، ثم احتلوا حصون مرجيق، و باجة و لبله، إلا أن القائد المرابطي يحي بن غانية فاجأهم بقواته من قرطبة فشتت جمعهم، و ما لبثوا حتى استرجع أبو محمد سدراي مدينة مرتلة[5] ، مما دفع بالثائر بالثائر بن قسي للذهاب لمراكش بالمغرب و اللجوء إلى الخليفة عبد المؤمن و أعلن بيعته و

(1) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 234.

(2) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ المغرب و الأندلس (فكر تاريخ حضارة و تراث)، ط1، ج1،مكتبة الثقافة الدينية، 1996، ص 78،79.

(3) محمد معمر الهادي القرقوطي : جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، (د ط)، دار هومة، 2012، ص 72.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 231.

(5) ابن الأبار : (ت658) ، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 204.

طاعته له و دعاه إلى امتلاك الأندلس، فوافق الخليفة، و أرسل في سنة (541هـ-1146م) جيشا كبيرا و نزلوا أرض الأندلس.[1]

فسار الموحدون إلى شرشيش و دخلوا في طاعتهم صلحا ثم مرتلة أيضا ثم شلب و فتحوها و ساروا نحو باجة و بطليوس و قدموا الطاعة، و بقي جيش الموحدون في مرتلة حتى انقضى الشتاء، و بعد ذلك أكملوا سيرهم إلى مدينة طليطلة ثم حصن القصر و بدون أي جهد عسكري دخلوا في طاعتهم، و من هنا جمعوا كل قواتهم و اتجهوا نحو اشبيلية محاصرين كل جهاتها برا و بحرا، و هم على هذا الحال حتى تم فتحها في نفس السنة.[2]

عاد الخليفة عبد المؤمن إلى مراكش، و في أواخر سنة (541هـ-1147م) أقبل عليه وفد من اشبيلية يعلن له البيعة و الطاعة، و أخبروه بالخطر النصراني و استيلاءه لعدة مدن، هذا بغض النظر عن التمردات، و ضمّ هذا الوفد كل من " القاضي أبو بكر بن العربي، و أبو عمر بن حجاج، و أبو بكر بن الجد، و أبو الحسن الزهري، و غير هم... ، ثم عاد الوفد إلى الأندلس سنة (542هـ/1149م).[3]

استجاب الخليفة عبد المؤمن للدعوة، و قرر ضم الأندلس، فأرسل قوات عسكرية ضخمة مقسمة إلى ثلاث فرق مؤلفة من عشرة آلاف فارس و عشرين ألف راجل، الأولى بقيادة براز بن محمد المسوفي، و الثانية بقيادة موسى بن سعيد، و الثالثة بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي، و ما أن اجتازت هذه الفرق مضيق جبل طارق حتى أعلنت الجزيرة الخضراء و طريف و شرشيش الطاعة و انضمت قواتهم للجيش الموحدي.[4]

(1) أبي عبد الله بن الخطيب : (ت776هـ)، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1216م، ص 58.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ص 312،313.

(3) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 33.

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 122.

و في سنة (543هـ-1149م) استولى الموحدون على قرطبة، و التي تولى أمرها بن حمدين سنة (539هـ-1145م) و التي لم تلبث حتى استنجد أهلها بيحي بن علي المسوفي المعروف بابن غانية الذي استولى عليه بمساعدة من النصارى،[1] لكن قام النصارى بالتضييق عليه و تسليمها لهم مما أدى به إلى الاتصال ببدران بن محمد ممثل الموحدين و اتفقا على تسليم قرطبة و قرمونة للموحدين، و اتجه إلى غرناطة لإقناع أميرها المرابطي ميمون بن بدر اللمتوني بالدخول في طاعة الموحدين لكنه توفي بها سنة (543هـ-1149م).[2]

أدرك ميمون بن بدر اللمتوني بعد سبع سنوات من المقاومة أن السيادة في الأندلس أصبحت في يد الموحدين، فعرض على الخليفة عبد المؤمن تسليم غرناطة مقابل إعطائه الأمان فوافق الخليفة و كان ذلك سنة (551هـ-1156م) ، و أرسل ابنه أبا سعيد إلى غرناطة ليستلم المدينة و معه أسطول سبتة لنقل المرابطين إلى المغرب.[3]

فتمكن الموحدون من السيطرة على غرب الأندلس و جنوبها و وسطها، لكن الجهة الشرقية لم يتم لهم ذلك، بسبب الثائر الخائن بن مردنيش[4] الذي كان مسيطرا على كل من بلنسية و مرسية منذ سنة (541هـ-1148م)، و تحالفه مع النصارى، فقد ساعدهم بالسيطرة على قواعد و ثغور المسلمين في الشمال الأندلسي، مقابل دعمهم له للحفاظ على ملكه في شرق الأندلس و الذي يمتد من بلنسية شمالا حتى ألمرية جنوبا و التي تحيط به الممالك النصرانية أرغون و قشتالة، و سنده و حليفه إبراهيم بن همشك و هو صهره و ضم حصن أشقويش و شقورة، فقوية بذلك شوكته.[5]
و استعد الموحدون لاسترجاع ألمرية من يد النصارى، و أرسل إليها الخليفة قوة عسكرية كبيرة بقيادة ابنه سعيد بن عبد المؤمن و الذي ضرب عليها حصارا شديدا حتى استنجدوا بألفونسو ملك قشتالة و حليفه ابن مردنيش، فجمعا قواتهما و تقدموا لفك الحصار لكن جهودهم باءت بالفشل

(1) ابن الخطيب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تص: البشير الفورتي، ط1،مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، (د ت)،ص 111.

(2) السلاوي : المصدر السابق، ص 147،148.

(3) عبد الله علام : المرجع السابق، ص 187.

(4) **ابن مردنيش** : و هو محمد بن سعيد بن دردنيش ثائر بالأندلس، استعان بالنصارى ضد الموحدين، منحه البابا لقب صاحب الذكر الحميد، و يعرف عند النصارى الإسبان بالملك لوبو. **أنظر**: البيدق: المقتبس، ص 80.

(5) عبد الله علام : نفسه، ص 188،189.

و عادوا أدراجهم خائبين، و بسبب طول الحصار و شدته الذي استمر لمدة سبعة أشهر لم يستطع النصارى الاستمرار في المقاومة و طلبوا الأمان فدخلها الموحدون سنة (552هـ-1157م).[1]

و من ثم بدأ عبد المؤمن بالاستعداد مرة أخرى و التأهب للقيام بحملة كبيرة يكون من خلالها القضاء التام على ابن مردنيش و تطهير الأندلس من التواجد النصراني، و ظل على هذا الحال يتعهد للحملة الكبرى حتى سنة (558هـ-1164م) ، حيث فاجأه مرض شديد منعه من إكمال الجهاد.[2]

المبحث الرابع : وفاة عبد المؤمن بن علي.

و ما إن عزم عبد المؤمن الجهاد و استكمال الفتح في الأندلس، خرج من مدينة مراكش في 15 ربيع الأول سنة (558هـ-1162م) ، و نزل بجيشه في رباط الفتح " بسلا " حيث فاجأه المرض و أطرحه الفراش، و قدم له الأطباء لمعالجته بينما حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم حتى أدرك الخليفة أن الموت محتوم و الأجل مقسوم.[3]

و عقد مجلسا و أمر بحضور شيوخ الموحدين، و أمر بخلع ابنه من ولاية العهد، ذلك لأنه لا يصلح للخلافة من بعده، لإدمانه الخمر، و كثرة طيشه، و اختلال الرأي، و يفتقر للشجاعة و الحنكة السياسية، و أوصى على خلافة ابنه يوسف، الذي قال فيه : "و هو أولى بها فقدموه"[4]، و ما إن مات عبد المؤمن حتى اضطربت أحوال الخليفة محمد، و اختلفوا عليه اختلافا كثيرا فتم خلعه بعد خمس و أربعين يوما فقط، و اجتمع أمرهم على أخوه يوسف فبايعوه و لقب بأمير المؤمنين.[5] فكان وفاة عبد المؤمن يوم الثلاثاء في 27 من جمادى الأخيرة سنة (558هـ-1162م) على عمر ناهز 63 سنة، و حمل إلى تينملل و دفن بالقرب من المهدي.[6]

---

(1) هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، نابلس،1984، ص 102،103.

(2) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 152.

(3) ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 79.

(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 306.

(5) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 154.

(6) ابن القطان : المصدر السابق، ص 208.

و هكذا استطاع عبد المؤمن تأسيس دولة الموحدين سنة (541هـ-1155م) بعد كل الجهود العسكرية و رسم الجهاد الذي غرسه في قلوب الموحدين في سبيل نصرة الإسلام، و فرض حكمه بالقضاء نهائيا على التواجد المرابطي في المغرب و الأندلس و الانتصارات التي حققها ضد النصارى، و تثبيت دعائم دولته و توسيع نطاقها الجغرافي بتوحيد كل المغرب تحت الحكم الموحدي و ضم الأندلس، و هذا يدل على ذكاءه و شجاعته و حنكته السياسية و القيادية ، و ما يتمتع به من حسن تسيير شؤون دولته و رعيته.

الفصل الثالث

تنظيمات عبد المؤمن بن علي و منجزاته.

بعد أن أحكم الخليفة عبد المؤمن سيطرته على زمام الأمور لقضائه على الدولة المرابطية في المغرب و الأندلس بشكل تام، و توسيع ملكه و الرقعة الجغرافية لدولته، قام بعدة تنظيمات في الدولة، الفكرية منها و السياسية و العسكرية و كذا الاقتصادية، و التي أدت بدورها إلى ازدهار الدولة الموحدية و دفع عجلة التطور بها.

المبحث الأول : التنظيم الإداري و نظام الحكم.

1- التنظيم الإداري :

لما انتشرت الدعوة الموحدية بشكل كبير في المغرب الأقصى على يد المهدي بن تومرت و كثر أتباعه بأعداد هائلة، و كانوا من قبائل كثيرة و مختلفة، فكان لابد للمهدي من أسس جديدة تمكنه من التحكم في هذا التنوع القبلي، فقام بتنظيمهم و تقسيمهم إلى مراتب وفق مهامهم و حسب أهميتهم على شكل هيكل إداري، يكون كركيزة أساسية للحفاظ على دعوته.[1]

و الذي يتمثل في أربعة عشر مرتبة، و هي كالآتي :

* المرتبة الأولى : و هم أهل الجماعة العشرة، و هم أول من بايعوا ابن تومرت و آمنوا به، و هم الذين اعتمد عليهم في نشر دعوته.

* المرتبة الثانية : و هم أهل الخمسين، و هي تتكون من خمسين رجلا و قد ذكر المؤرخون عنهم : " أما من قبيلة هرغة فستة رجال... و أما من قبيلة تينملل فأربعة عشر... و أما من قبيلة هنتانة فثلاثة... و أما من جدميوة فرجلان... و أما من جنفيسة فأربعة... و أما من القبائل فرجل واحد... و أما من هسكورة ثلاثة... و أما من صنهاجة ثلاثة... و أما من الغرباء فخمسة... " و هنا يظهر ذكاء المهدي الذي جمعهم في طبقة واحدة ليكون لهم الولاء و الطاعة.[2]

(1) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 172.

(2) الغناي : المرجع السابق، ص 228.

* المرتبة الثالثة : و هم أهل السبعين، و لهذه المراتب الثلاثة الصفة السياسية على خلاف باقي الطبقات، و جعلهم إلى جانبه لأنهم من سيقومون بالدعوة.

* المرتبة الرابعة : الطلبة، و التي تمثل علماء الموحدين و هي بمثابة الطبقة العليا في العلوم و المعرفة.

* المرتبة الخامسة : الحفّاظ، أي صغار الطلبة.[1]

* المرتبة السادسة: أهل الدار، و هم الذين يخدمون المهدي و أسرته و عشيرته.

* المرتبة السابعة : قبيلة هرغة، و هي قبيلة المهدي ابن تومرت.[2]

* المرتبة الثامنة : أهل تينملل.

* المرتبة التاسعة : تتكون من أهل كدميوة.

* المرتبة العاشرة : تتكون من أهل جنفيسة.

* المرتبة الحادية عشرة : تتكون من أهل هنتانة.

* المرتبة الثانية عشرة : تتكون من أهل القبائل.

* المرتبة الثالثة عشرة : و هم الغزاة و الرعاة.

* المرتبة الرابعة عشرة : تتكون من الأطفال الصغار.[3]

إلاّ أن الخليفة عبد المؤمن، و بعد انتصاره على المرابطين و إحكام قبضته و قيام دولة الموحدين، بدأ يفكر في كيف يحد من نفوذ المصامدة، و وضع نظام إداري جديد للدولة، مستغلا وفاة أغلب أصحاب المهدي العشرة و أكثر أعضاء جماعة الخمسين و السبعين، فأعلن تغيير نظام طبقات المهدي الأربعة عشر مصنفا الموحدين إلى ثلاث فئات، على حسب ما جاء في الرسالة رقم اثنا عشر الموجه من الخليفة إلى الطلبة بتلمسان سنة (541هـ-1156م)[4]. و هي كما يلي :

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص ص 84،85.

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 245.

(3) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ص 173،174.

(4) عبد الله عنان : المرجع السابق، ص399.

الطبقة الأولى : تتكون من أصحاب المهدي الأوائل الذين صلّوا معه و غزوا معه، كما شاهدوا البحيرة و شاركوا فيها.

الطبقة الثانية : و هم الذين آمنوا بالتوحيد و دخلوا مع الموحدين من بعد معركة البحيرة إلى فتح وهران سنة (539هـ-1145م).

الطبقة الثالثة : و هم ممن انتظموا في سلك الموحدين ابتداء من موقعة وهران.[1]

و لابد أن عبد المؤمن تفطّن لما يكنّه البعض له من حقد و غل و تحيّنهم الفرصة للقضاء عليه، فلما وضع ابن تومرت للموحدين نظاما حكوميا يتكون من أربعة عشر طبقة و رتّبها حسب أهميتها، قام عبد المؤمن من بعده بتغيير هذا للحد من نفوذ هذه الطبقات، و في الظاهر كان هدفه تحقيق العدالة، أما في الباطن فهو الحد من قوة النظام الذي أقامه المهدي.[2]

فأنشأ الخليفة بذلك نظاما إداريا جديدا مع احتفاظه بمجلسين هما : الجماعة، و مجلس الخمسين الذي يمثل القبائل، و بدأ بإدخال القبائل العربية (بنو هلال، الأثبج، زغبة، رياح، عدي) إلى المغرب الأقصى بعد أن كان مقرها لا يتجاوز الجزائر، حتى يكون له سند و قوة يستعين بهم لحسم الخلاف الذي ظهر في صفوف الموحدين، و أيضا الاعتماد عليهم في الجهاد.[3]

2- نظام الحكم :

الخلافة :

قام الخليفة عبد المؤمن باستحداث ولاية العهد في نظام الحكم لدولته و ذلك عندما استخلف ابنه محمد و أخذ البيعة له من كبار رجالات الدولة و الولايات، فيكون بذلك قد جعل الحكم وراثيا في أسرته، فأدى بذلك إلى ظهور خلافات و معارضات لهذا النظام، لكنه وضع شرط الكفاءة و الصلاح و هما صفتان يجب أن يتحلى بهما الخليفة، و دليل ذلك عندما خلع ابنه محمد

(1) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 175.

(2) أحمد موسى : المرجع السابق، ص 149.

(3) عبد الله علام : المرجع السابق، ص 258.

من ولاية العهد لأنه شهد عدم صلاحه و كفاءته، و عين في مكانه أخاه يوسف بن عبد المؤمن، و أيده شيوخ العرب على ذلك، رغم معارضة قبائل المصامدة له.[1]

تعيين الولاة :

أما بالنسبة للولاة فقد قام الخليفة بتعيين أبناءه على المناطق، حيث وضع مع كل واحد منهم كاتب و شيخ، فكان هذا أهم ما ميز التنظيم الإداري في عهده، بحيث كان هناك تعاون بين الأسرة الحاكمة و شيوخ الموحدين، مما يعكس براعة الخليفة في التنظيم.[2]

و بنى مدرسة خاصة لتكوين أولاده على مهام الحكم الإدارية و العسكرية و الثقافية، و قام بتكوين صنف آخر من الطلبة و الحفاظ و قادة الجيش، فكان لا يتخذ قراراته إلا بعد استشارة رجالات الدولة و تطبيق النظام الإسلامي، و كانت المراسيم و التعليمات تعلن من على المنابر.[3]

الوزارة :

كان المهدي بن تومرت يتخذ عشرة من أتباعه المخلصين بمثابة الوزراء و هم أهل العشرة،[4] و بعد أن تولى الخليفة السلطة ألغى هذا النظام و اتخذ لنفسه وزراء لمساعدته في إدارة شؤون الدولة، فكان هؤلاء الوزراء إما من أسرته كعمر بن عبد المؤمن، وإما من أسرة معينة كأسرة بني جامع، أو قبيلة معينة كقبائل هنتانة و كان يختار وزيره من هو كفئ وذو مهارة و أهل للثقة،[5]

و في بادئ الأمر كان أبو حفص عمر أزناج أول وزراء الخليفة، إلى أن استقر الأمر، حتى قتله الخليفة سنة (553هـ-1163م)، و عين مكانه أبا جعفر أحمد بن عطية و الذي كان وزيرا و كاتبا في نفس الوقت، و هو على هذا المنصب إلى أن قتله الخليفة في نفس السنة، و عين مكانه عبد السلام الكومي الذي كان مقربا للخليفة، فاستمرت وزارته إلى أن قتله هو أيضا

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 202.
(2) حسن علي : المرجع السابق، ص 98.
(3) عبد الله علام : المرجع السابق، 260.
(4) البيدق : أخبار المهدي، ص 33.
(5) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 178.

سنة (557هـ-1167م)، و عين مكانه عمر بن عبد المؤمن، ابنه، هذا الذي بقي في وزارته إلى أن توفي الخليفة عبد المؤمن.[1]

ديوان الكتابة :

أكثر ما ميز الدولة الموحدية هو ديوان الكتابة، فقد اتخذ الخليفة عددا من كتاب الدولة لكتابة رسائل تتضمن تعليمات و أوامر موجهة للطلبة و الحفاظ و الشيوخ و الولاة [2]، و لما اتسعت بقعة الدولة على عهد الخليفة عبد المؤمن تطورت الكتابة و انقسمت إلى قسمين : أرباب القلم و أرباب السيف.[3]

أرباب القلم : اختصوا بكتابة الرسائل و المخاطبات و المحاسبات.

أرباب السيف : اختصوا بالحرب و ولاية الثغور و تزويد مركز الدولة بمعلومات عن الأمن و السياسة.[4]

و من هؤلاء الكتاب نجد أحمد بن عطيّة، و أخوه عطيّة بن عطيّة، و عبد المالك بن عيّاش و ميمون الهواري و عبد الله بن جبل، و أبو جعفر بن أحمد بن عطيّة الوزير الذي كان في البداية كاتبا لعلي بن يوسف في آخر أيامه، و أبي القاسم عبد الرحمان القالمي، و هو من أهل مدينة بجاية.[5]

القضـاء :

من الوظائف الرئيسية في الدولة الموحدية هي القضاء، لتحقيق العدل. و لا ينفذ الحكم بذلك إلا بعد عقد مجلس القضاء، حيث عرف " بقاضي الجماعة " و كان يتم تعيينه من قبل الخليفة و هو الذي يشرف على تعيين القضاة على الأقاليم و نقلهم و محاسبتهم على أعمالهم.[6]

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 266.

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 205.

(3) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 179.

(4) نفسه، ص 179.

(5) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 269.

(6) عبد الله علام : المرجع السابق، 266.

و من القضاة الذين تولوا هذا المنصب في عهد الخليفة عبد المؤمن حيث عرفوا بقوة الحجة و العلم و الأخلاق، هم : أبا محمد عبد الله بن جبل، و عبد الله بن عبد الرحمان المالقي، و موسى بن سهل من أهل تينملل، و الحجاج بن يوسف، و أبو عبد الله القرطبي.[1]
إضافة إلى منصب الشورى الذي يضم الفقهاء الممتازين، و تقتصر مهمتهم على الإفتاء للناس، كما أنه هناك مساعد يسمى " صاحب الأحكام " و له الحق في إبداء الرأي في الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى المحتسب الذي كان يتمتع بسلطة كبيرة في الأسواق فهو الذي يشرف على المكاييل و الموازين.[2]

المبحث الثاني : التنظيم الاقتصادي.

قام المهدي بن تومرت بتعيين فئة خاصة عُرفت " بالسكّاكين " الذين يضربون العملة، و اتخذ الدرهم المربع الشكل، لكن الخليفة عبد المؤمن قام بتغيير في ذلك، حيث استعمل الدينار الذهبي و الدرهم الفضي و المثقال و له وزن الدينار و الأوقية و لها وزن الدرهم، و الشكل المربع منها و المستدير.

حيث كان بفاس داران للسكة، للنقد الرئيسي للدولة من الذهب و الفضة، و أما الدرهم فقد سك في الولايات بمختلف الأوزان على أساس الدينار و الدرهم، و ضربت عملات مختلفة حسب تعاقب الأمراء و أشير إليها بالدينار المؤمني و الدرهم المؤمني و النقود المؤمنية.[3]

فشهد اقتصاد الدولة في عهد الخليفة تطورا و ازدهارا[4] ، رغم العوائق و الظلم من طرف بعض الولاة على الرعية، لكن الخليفة أمر بملاحقتهم و منهم من قتل، و أمر ألا يؤخذ من الناس إلا ما أقره الله، كما قام بحماية و تأمين الطرق التجارية مهددا بذلك من يخالف أوامره، و كما أنزل العقوبات بقطاع الطرق، فساد الأمن و الاطمئنان.[5]

(1) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 184.
(2) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 146.
(3) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ص 199،200.
(4) لخضر سيفر : المرجع السابق، ص 331.
(5) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ص 203،204.

و كان يقوم بتوزيع المال على الذين كانوا يأتون إلى قصره، طالبين العطاء، و ذلك مرة أو أكثر في الشهر، و هذا دليل على كرمه. و صندوق الدولة الموحدية كان مليئا[1] ، و مما ذكر في هذا الشأن : " كان يخرج للمواساة مرتين و ثلاثا في الشهر الواحد، بحسب حضور المال لديه، و كان يتفقد ما يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس... ، فيعطي على السوية عشرة دنانير، يفعل هذا في العام مرارا كثيرة ".[2]

1- مصادر الدخل المالي :

أ- الخراج :

و يتجلّى ذلك لما قام عبد المؤمن في سنة (555هـ-1160م) ، بالمسح الشامل لأراضي المغرب الأقصى ثم باقي الأراضي في المغرب وصولا إلى برقة، و أسقط ثلث المساحة في مقابل الجبال و الأنهار و الطرقات و فرض الخراج على ما تبقى من الأراضي[3]، و في ذلك يقول ابن أبي زرع : " و في هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد إفريقية و المغرب و كسّرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ و الأميال طولا و عرضا فأسقط من التكسير الثلث من الجبال و الشعراء و الأنهار و السباخ و الطرقات و الخروف و ما بقي قسط عليه الخراج، و ألزم كل قبيلة قسطها من الزرع و الورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب. "[4]

و الخراج هو ما صرف على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها، أي أنها أراضي المشركين التي استولى عليها المسلمون عنوة أو صلحا. و هنا تكون أراضي المغرب التي فرض عليها عبد المؤمن الخراج لا يجوز فيها الخراج، فهي أراضي المسلمين.[5]

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص 172.

(2) لخضر سيفر : المرجع السابق، ص 332.

(3) ابن أبي دينار : كتاب المؤنس، ص 112، و السلاوي : الإستقصاء، ج2، ص 132.

(4) ابن أبي زرع : الأنيس، ج2، ص 161.

(5) الماوردي : الأحكام السلطانية، (د ط)، الحلبي، مصر، 1966م، ص 146،147.

و لا بد و أن عبد المؤمن حين اتخذ هذا الإجراء كان له مبررات لذلك و من بينها :

أولا : نظرة الموحدين إلى المرابطين على أنهم كفرة و خروجهم عن الدين، لذلك نظر الخليفة إلى أراضيهم على أنها أراضي المشركين.(1)

ثانيا : احتياج الخليفة إلى الأموال لمواصلة الجهاد، خاصة بعد توسع الدولة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) إضافة إلى الأندلس. كل ذلك استلزم أموالا كثيرة لا تفي بها المصادر الشرعية الأخرى، فأباح لنفسه اتخاذ هذا الإجراء.(2)

ثالثا : ربما استند الخليفة إلى فتوى بعض العلماء المحيطين به بأن من حقه فرض الخراج على هذه الأراضي.(3)

ب- الزكاة :

كانت الزكاة من المصادر المالية التي لجأ إليها ولاة الأمر من الموحدين و حرصوا عليها باعتبارها من الأمور الدينية، فكانت لها منزلة هامة في الدولة.(4)

و لذا فإن الخليفة عبد المؤمن أكد هذا في رسالته التي أرسلها إلى أهل بجاية يقول فيها : " و خذوا إيتاء الزكاة، و بالكشف عن ما نصيبها و تشخيص ممسكها أو النزر اليسير منها، فالزكاة حق المال، و الجهاد واجب على من منع منها قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها و من منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كله. "(5)

(1) الماوردي : المصدر السابق، ص 147.

(2) نفسه، ص 147.

(3) نفسه، ص 147.

(4) ابن أبي زرع : الأنيس، ج2، ص 21.

(5) عبد العزيز بن عبد الله : تاريخ المغرب، ج1، ص 110.

أما فيما يخص أصناف المال التي تؤخذ منها الزكاة، فقد ذكرها القاضي عياض و هو من علماء مدينة سبتة (ت 544هـ-1149م)، حيث قال في كتابه " الأعلام " : " و أما في ما تجب الزكاة، فالآموال المزكاة ثمانية، النقود من الذهب و الفضة، و الحلي المتخذ منها للتجارة، و في معناه النقار و التبر و الأنعام و هي الغنم و البقر و الإبل، و الحبوب و هو كل مقتاة من الحبوب، و في معناها ما لا زيت منها، و الثمار و هي ثلاثة : تمر و زبيب و زيتون، و العرض المتخذة للتجارة و المعادن من الذهب و الفضة و الركاز[1]، و لا بد لأن يحول عليها الحول.

ج- الجزية و الضرائب :

و المصدر الثالث من مصادر المال و هي الجزية، و تؤخذ من الرجال الأحرار العقلاء، و لا تجب على المرأة و لا على الصبي و لا المجنون و لا العبيد، و أما مقدارها ففي رأي الإمام مالك أنها موكولة لولاة الأمر و اجتهادهم.[2]

و لقد حرص الخليفة عبد المؤمن على إلغاء الرسوم و الضرائب التي تخالف الشرع، و التي فرضها المرابطون، و كل أنواع المكوس و القبالات لمخالفتها للشرع، و قد أرسل رسالة إلى الطلبة بالأندلس و من معهم من المشيخة و الأعيان و الكافة، حيث جاء فيها : " و لقد ذكر لنا في أمر المضارم والمكوس و القبالات و تحجير المراسي و غيرها، ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما و إفكا و أدناها إلى من تولاها دمارا و هلكا ... ". و هكذا حدد الخليفة موقفه من هذه الضرائب بصورة واضحة.[3]

(1) القاضي عياض : الأعلام بحدود قواعد الإسلام، ص 63.

(2) الماوردي : المصدر السابق، ص 144.

(3) إبن القطان : نظم الجمان، ص 156،157.

2- الزراعة :

عرفت الزراعة – زيادة على الظروف التي ذكرناها سابقا – ظروفا طبيعية ساهمت في نمو الإنتاج الزراعي، من ذلك تنوع المناخ لامتداد الدولة الموحدية الواسع و إطلالها على البحر المتوسط و المحيط الأطلسي[1]، و ما يدل على هذا التنوع فيما ذكر : " أن حرّها و بردها ليس بالشديد جدا أو قد يعتدل الفصلان الخريف و الربيع في أوقاتهما فيكون دخول الخريف إلى الشتاء غير متباين الهواء و كذلك كل فصل ينتقل من هواء إلى هواء و من زمان إلى زمان بالتدرج "[2]. إضافة إلى خصوبة التربة و وفرة منابع المياه للسقي و الري، و من مصادر السقي في بلاد المغرب هناك الأمطار و العيون و الآبار و الأودية و الأنهار و الصهاريج. و من الأودية نجد وادي فاس، و وادي سبو، و وادي ملوية... و غيرها من الأودية في الأندلس و ما بقي من بلاد المغرب[3]، و إن إتقان الكثير من سكان المغرب للفلاحة وفّر اليد العاملة للبلاد، و من ممتهني الفلاحة قبائل دكالة و تمسنا، مثلما ورد ذكره في : " و بعض زناتة و تمسنا[4] شتى و متفرقة، فمنهم برغواطة و مطماطة و بنونسلت و بنويغمران و رقراقة... هذه القبائل أصحاب حرث و مواشي و جمال "[5].

المحاصيل الزراعية :

من الظاهر أن المدن المغربية و الأندلسية تميّزت بوفرة المزروعات المختلفة و من ذلك نجد : **القمح** : الذي زرع بمناطق مختلفة من المغرب الأقصى في كل من طنجة و مدينة أزلي و البصرة و مدينة كرت. هذا في المناطق الشمالية، أما في المناطق الشرقية فنفس الشيء، فمثلا الطريق من فاس إلى تلمسان كانت قرى كثيرة فيها القمح، و كذلك في جنوب البلاد.[6] كما اشتهرت به

(1) الإدريسي : المصدر السابق، ص 171.

(2) علي الجزائي : المصدر السابق، ص 36.

(3) كمال سيد، أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل و فتاوى المعيار المغرب للونشريسي، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، 1969م، ص 57.

(4) الإدريسي : المصدر السابق، ص 171.

(5) نفسه، ص 172.

(6) حسن علي : المرجع السابق، ص 240.

أيضا مدينة سجلماسة التي ازدهرت فيها زراعة القمح، و في ذلك ذكروا : " و قمحهم رقيق الحب ... و هم يأكلون الزرع ".[1]

و الظاهر أن القمح كان متوفرا في عهد الخليفة عبد المؤمن، و أنه عندما قصد السير للأندلس ملأ المخازن بالقمح و الشعير و الملح، و ذلك بقوله : " ... نظر الخليفة ... لمدينة غرناطة و قصبتها سنام الأندلس، فملأ مخازنها بالقمح و الشعير و الملح ... " و إضافة إلى الشعير و الملح.[2]

الشعير و أنواع أخرى من الحبوب : فالشعير هو الآخر كانت زراعته مزدهرة، و الدليل هو ما ذكره ابن الصلاة في ما حمله أمير المؤمنين إلى الأندلس بالإضافة إلى الذرة في سجلماسة و السمسم و القنب و سائر البقول في أغمات.[3]

القطن : تم زرعه في المناطق المنخفضة في المغرب و من هناك انتقلت زراعته إلى اسبانيا، دون أن ننسى قصب السكر في كل من بلاد السوس الأقصى التي منها يجلب إلى بلاد المغرب و الأندلس و إفريقيا كما كان السكر أيضا في إيجلي.[4]

الزيتون : فهو موجود بكثرة في المغرب، و مكناسة كثيرة الزيتون و بذلك اشتهرت به. و قد غرس أحمد ابن واجاج في أول أيام الموحدين بالمغرب بكل من فاس و المقرمدة و رباط تازة الزيتون[5]، و مما تم ذكره : " و زيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة و زيتها أرخص و أطيب ".[6]

الفواكه : اهتم الخليفة عبد المؤمن بغرس البساتين و زرع الفواكه، و قد قام بغرس بستان كبير خارج مدينة مراكش، و كان ذلك سنة (550هـ-1156م) ، و قد ذكر المؤرخ قائلا : " و في عام خمسين زار قبر المهدي... و هبط إلى سلا، و بقي فيها عامين اثنين ثم رجع إلى مراكش،

(1) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 201.
(2) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 137.
(3) حسن علي : المرجع السابق، ص 241.
(4) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 213.
(5) حسن علي : المرجع السابق، ص 242.
(6) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 206.

و غرس البحيرة التي بشنطولية[1]، و طول هذا البستان ثلاثة أميال، قريب منه يحوي كل فاكهة تشتهيها الأنفس، و جلب الماء من أغمات و استخرج عيونا كثيرة حسب اليسع : " و ما خرجت أنا من مراكش سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة إلاّ و هذا البستان الذي غرسه يبلغ مبيع الزيتون و الفواكه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفواكه[2]، و زيادة على ذلك كان هناك بستان آخر هو بستان الصالحة لعبد المؤمن الذي ما زال مشهورا إلى يومنا هذا بمراكش. و نفس الأمر بالنسبة لفاس التي كانت كثيرة البساتين و الفواكه، من جميع الثمار و بلاد تازا كثيرة التين و الأعناب و الفواكه، و سجلماسة كثيرة الزجل و الأعناب و الزبيب... و منطقة السوس ذات البساتين، الجنات بأنواع الفواكه و الثمار و الأعناب و تارودانت ذات الخيرات الكثيرة[3].

دون أن ننسى مكناسة كثيرة الفواكه، منها البرقوق و التفاح و أنواع كثيرة من الإجاص و السفرجل الطيّب حلو و حامض و التين و العنب.[4]

2- الصناعة :

و قد نهض عبد المؤمن بالصناعة و اهتم بها و ذلك بسبب ما احتوته مملكته من معادن مختلفة، فعمد بها للمتخصصين لاستخراجها و استغلالها، و مثال ذلك قاعدة بلاد السوس إيجلي التي كان بها معدن نحاس مسبوك و الذي يجهز إلى بلاد السودان[5]، و معدن الملح الذي كان متوفرا و كان يحفره كما تحفر سائر المعادن[6]، كما كانت هناك دار صناعة لإنشاء القوارب و السفن الصغار بموضع قريب من فاس، و أتاها الصنّاع من كل مكان، كما نجد من أبرز الصناعات التي قامت في المغرب في عهد عبد المؤمن هي صناعة النسيج و التي اشتهرت بها مدينة سوسة.[7]

(1) البيدق : المصدر السابق، ص 79.
(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 110.
(3) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 209.
(4) المكناسي : المصدر السابق، ص 6.
(5) عبد الله علام : المرجع السابق، ص 255.
(6) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 213.
(7) الجزائي : المصدر السابق، ص 37.

إضافة إلى صناعة الزيوت مما أدى إلى انتشار المعاصر بكثرة، و اشتهرت فاس بصناعة الورق المغربي الذي كان يتميّز بالبياض الناصع و الجودة. و أما في الأندلس فيوجد كل من الزئبق و الحديد و الرصاص و الصوف و الأصباغ و الكتان.[1] كما وجدت الكثير من المصانع التي خصصت لصنع السلاح، و مما ذكر : " فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها في حلق المعمورة... مئة و عشرون قطعة... مرسى هنين مئة قطعة... الأندلس ثمانون قطعة... الاستكثار من أنواع الأسلحة... كل يوم عشرة قناطير"[2]، إضافة إلى مصانع الصناعات الجلدية في قرطبة.[3]

و مما يظهر اهتمام عبد المؤمن بالصناعة هو استعانته بالخبرة الأندلسية في هذا المجال و ذلك عندما قرّر كسوة مصحف عثمان سنة (552هـ-1158م) و الذي كان بقرطبة و نقله إلى مراكش و ذلك من خلال ما ذكر : " فحشر الصنّاع المتقنين ممن كان بالحضرة و سائر بلاد المغرب و الأندلس... كل الصناع من المهندسين و الصوّاغين، و النظاميين و الحلائيين و النقّاشين، و الرصّاعين و النجارين و الزوّاقين... و لم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في الصناعة إلاّ و حضر".[4]

3- التجارة :

بما أن الموارد الزراعية و الصناعية كانت متوفرة بشكل كبير في الدولة الموحدية، فكان من الطبيعي أن تكون التجارة مزدهرة فيها. فقد أولى عبد المؤمن عناية كبيرة بالتجارة سواء الداخلية أو الخارجية، فبالنسبة للتجارة الداخلية و لتسهيل كل من البيع و الشراء بين سكان مناطقه فقد ضرب عملة فضية، و رفع المكوس و الضرائب، غير أنه فرض الرقابة لضبط الموازين و منع بيع السلع غير الصالحة.[5]

(1) أبو مصطفى : المرجع السابق، ص ص 67-68.

(2) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 201.

(3) يوسف الأشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1958م، ص 495.

(4) السلاوي : المصدر السابق، ص 114.

(5) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 84.

أما فيما يتعلق بالتجارة الخارجية، فقد شهدت ازدهارا بين المغرب و المشرق، و كانت كل من الإسكندرية و تونس أهم مركزين ارتكزت عليهما التجارة، و قد ساعد موقع الإسكندرية على البحر المتوسط ليكون همزة وصل بين واد الفيل و صحاري المغرب. كما يمر الطريق القديم بين أقصى المغرب (من سجلماسة في الجنوب إلى فاس و تازة) عبر الممر الإفريقي إلى تونس ثم طرابلس.[1]

و التجارة بين مراكش و بلاد السودان و غانة[2]، و كما كان الطريق الرئيسي لتجارة الذهب هو طريق السودان الغربي عبر مراكزه التجارية مثل تمبكتو إلى أعالي السنغال و النيجر ثم مراكش غربا. كما نشطت الحركة التجارية مع الدول الأوروبية خصوصا مع مدينة البندقية و مرسيلية و جنوة. و قد لعبت الموانئ دورا مميزا في تنشيطهم لحركة التبادل التجاري كميناء سبتة المطل البحر الأبيض المتوسط و ميناء طنجة، و ميناء سلا الذي كان يستقبل السفن الأندلسية، بالإضافة إلى مرسى فضالة و مرسى أنفا و مرسى أسفي و مرسى ألمريّة أشهر موانئ الأندلس و أكثرها اعمارا.[3]

المبحث الثالث : التنظيم العسكري.

أدرك الخليفة عبد المؤمن مدى الأهمية الكبرى للقوة العسكرية كركيزة أساسية في إقامة دولته و تثبيت دعائمها، فقام بتنظيم جيشه و تكوين قيادة عسكرية، و غرس في قلوبهم حب الجهاد في سبيل الله و دائما يعظهم و يستعين بالقرآن و السنة، و أنه من يقتل منهم فهو شهيد، و وضع الخطط و إدارة المعارك الحربية، و صنع السلاح و بناء المدارس العسكرية المتخصصة في الأساليب القتالية و تكوين ذوي الكفاءات. حيث قسم الجيش إلى قسمين و هما الجيش البري، و الأسطول البحري.[4]

(1) ابتسام مرعي خلف الله : العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي(524هـ-936هـ)، (د ط)، دار المعارف، 1985م، ص 327.

(2) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 125.

(3) ابتسام مرعي : المرجع السابق، ص 284.

(4) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 187.

الجيش البري :

وضع الخليفة تخطيطا للجيش، فكان يستغل كل ما يساعد في التكوين من الثروات المادية و الحيوانية كجلب الخيول و الجمال من المناطق الصحراية، و فرض الضرائب و تجنيد الجند، بالإضافة إلى المتطوعة و جند القبائل العربية، حيث وفدت آلاف من الجند من قبيلة كومية، منهم الفرسان و المشاة و المتطوعون، و اتخذ منهم عناصر معينة ليكونوا حرسه الخاص.[1]

و كما انضمت إليه جند من القبائل الأخرى من المشاة و الفرسان، و انضمت فرق كثيرة لكل واحدة منها رايتها الخاصة و مواقعها و أماكنها الخاصة، و بنيت المدارس لتكوين الجند البارعين في كل من مراكش و فاس و الرباط، و تعليمهم فنون الحرب، حيث كانوا على استنفار دائم و تدريبات عسكرية مستمرة، فتكون منها كبار القادة، ليكونوا من خيرة الجيوش المنظمة و القوية، لأنه يدرك أن قوة الجيش ليس في عدده فحسب بل في تدريبه و مهارته.[2]

فقد اهتم بصناعة مختلف أنواع الأسلحة كالقسي و النشاب و الخوذات و الدروع و السهام و غيرها...، حيث اشتهرت مدينة لمطة بصناعة الدرع و السيف و الرمح[3]، كما صنعت آلات الرمي و خرق الأسوار و آلات الرمي بالنار المشتعلة، و صناعات عسكرية أخرى كالجسور[4]، و الصناعات النسيجية العسكرية، و ما ساعد على الصناعة هو توفر المعادن في مناطق مختلفة من الدولة.[5]

(1) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 129-131.
(2) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 188.
(3) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص ص 134،133.
(4) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 244.
(5) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 188.

و نسب إلى عبد المؤمن ابتكار خطة حربية جديدة، تعرف باسم " خطة المربع الموحدي " أو " الخطة التربيعية في الحرب " و اشتهرت كطريقة قتالية فيما بعد و أصبحت عماد خطط الدفاع الموحدي في الميدان المكشوف[1] ، و أفادنا بوصف هذه الطريقة القتالية في الحرب صاحب كتاب " الحلل الموشية " : " أن تصنع دارة مربعة في البسيط يجعل فيها من جهاتها الأربع صف من الرجال بأيديهم القنا الطوال و الطوارق المانعة و من ورائهم أصحاب الدروق و الحراب صفا ثانيا و من ورائهم أصحاب فيها الحجارة صفا ثالثا، و من وراء هؤلاء الرماة صفا رابعا، و في وسط المربعة ترابط قوس الفرسان.[2] و في قلب هذا المربع يستقر القائد أو الخليفة الذي كثيرا ما يقود المعركة بنفسه، تحيط به هالة من الفرسان و الفدائيين.[3] و ذلك تحت قرع الطبول و صوت الأبواق و الأعلام الخضراء، و حتى إذا تمكن العدو من اختراق الصف الأول يواجه بدفعات قوية من الجند مزودة بقوات احتياط.[4]

و كانت مهمة الإشراف على الجيش تسند إلى ديوانين اثنين هما :

ديوان العسكر الذي يرأسه أحد القادة العسكريين، أما الديوان الثاني فيعرف باسم " ديوان التمييز " و تنحصر وظيفته في اختيار الجند الصالحين للحرب، و تتم هذه العملية قبل إعلان الحرب أو الغزوة.[5]

اهتمام عبد المؤمن بالاستعراضات العسكرية :

كان الخليفة عبد المؤمن يحب جيشه كثيرا لذلك كان يعمل على تجهيزه بالعدة و العتاد، و كان يولي عناية خاصة بالتنظيم، و كان الجند يسيرون وفق نظام محكم، فإذا حان وقت الراحة نزلت كل فرقة بالمكان المخصص لها و على ترتيبها. و كان الجند مرتبطين بقائدهم العسكري.[6]

و كان الخليفة يشهد العروض العسكرية الخاصة، و خاصة قبيلة كومية (حرسه الخاص)، حيث تظهر فنون الفروسية و ألعاب الخيل. و كان يسترض القوات وفق تنظيمها القبلي و هي تقوم

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 103.

(2) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص 132.

(3) البيدق : أخبار المهدي، ص 91.

(4) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 165،166.

(5) نفسه، ص 166.

(6) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 109.

بالعروض تتقدمها مباشرة من قبائل البربر : هرغة و تنملل و هنتاتة و كومية و جنفيسة، و من قبائل العرب : بنو زغبة و الهلاليون، و بنو رياح و الجشميون.[1]

هذا و إن دلت هذه العروض العسكرية فهي تدل على مدى اهتمام الخليفة بهذا الجيش من حيث الإعداد و التدريب و التسليح، و ما حققه من أمن و استقرار للدولة الموحدية.
و قد عرف الجيش الموحدي قادة عظماء و محنكون، و على رأسهم عبد المؤمن و الشيخ أبو حفص عمر، إضافة إلى القادة الكبار من أبناء الخليفة عبد المؤمن أمثال : أبي محمد، و أبي حفص، و أبي سعيد، و أبي يعقوب.[2]

الأسطول البحري :

كما كان للخليفة اهتمامه الكبير بالأسطول البحري الذي كان من بين أعظم الأساطيل في عهده، حيث قام بتوزيع أسطوله بين أهم موانئ الدولة في الأندلس و المغرب، و من أشهر الموانئ : قادس في الأندلس، و أما في المغرب هناك سبتة و المهدية و وهران و طنجة و عنابة و هنين.[3]

و قام ببناء دور صناعة السفن في كل أنحاء البلاد، مثل دور صناعة في قصر المعمورة لصناعة المراكب و الحرايق المعدة للنقل إلى الأندلس، و هناك دار صناعة قرب وادي فاس لصناعة الحبلات و القوارب الصغيرة، كما كانت تصنع الشلنديات و هي سفن كبيرة تحمل الأسلحة و الجنود، و غيرها من السفن الحربية.[4]

و قد بنيت مدار خاصة لتدريب جنود البحرية، و من كبار قادة الأسطول في عهد الخليفة عبد المؤمن، نجد "علي بن عيسى بن ميمون المرابطي، و عبد الله بن سليمان، و محمد ابن عبد العزيز بن ميمون "[5]. و ما يبرز قوة الأسطول الموحدي حين تمكن من فرض الحصار البحري

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 109.
(2) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 194.
(3) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 214،215.
(4) حسن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 194.
(5) نفسه، ص 194،195.

على المهدية و تحريرها و هزيمة الأسطول الصقلي و أسر عددا من سفنه، كما تمكن من تحرير تونس و سوسة و صفاقس و طرابلس و القيروان من النفوذ الصقلي.[1]

و قام ببناء القلاع و الحصون و القصبات بالرباط و سلا، وأ قام جسرا من السفن بين القصبة و سلا لتمر عليها الجيوش إلى الأندلس.[2]

المبحث الرابع : إنجازاته الثقافية و الفكرية .

اهتم الخليفة عبد المؤمن بالعلم اهتماما كبيرا فكان شديد الاهتمام و التقدير للعلماء، و عمل على تثبيت العلم و انتشاره في شعبه و أسرته.

و أكبر دليل على ذلك أنه كان ينفق عليهم من ماله الخاص، فذكر ابن الخطيب ذلك بقوله : " ربّى الحفاظ و كان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر... و هم ثلاثة آلاف... و قصدهم سرعة الحفظ و التربية على ما يريده... فيأخذهم يوما لتعلم الركوب، و يوما للرمي بالقوس... في بحيرة صنعها خارج بستانه، فتأدبوا بهذا الأدب... و كانت نفقتهم و سائر مؤونتهم من عنده "[3]

و يسانده في هذا صاحب الحلل الموشية فقد وصف لنا منهج الخليفة عبد المؤمن بقوله: " وكان الخليفة عبد المؤمن بارا بما انضوى إليه عالما بأقدار الناس مكرما لأعيانهم، و أهل البيوتات منهم، عالما بمقادير العلماء، ينزل الناس على قدر منازلهم و رتبهم، ووقف الحفاظ على كتاب الموطأ، و أعز ما يطلب، ...و كانت نفقتهم، وسائر مؤنهم من عنده، وعدتهم و خليتهم كذلك"[4]

(1) البيدق : المصدر السابق، ص 113.

(2) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 218.

(3) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 114.

(4) مؤلف مجهول : الحلل الموشية، ص 151،150

كما كان يبقيهم إلى جواره و يمنحهم العطايا و الأرزاق الواسعة، و قرر بعد موافقة أشياخ الموحدين أن يمنح لكل طالب منهم قرضا، مقداره ألف دينار و لم يسترجعه منهم مطلقا. كما وظّف الكثير منهم في أعمال الإدارة و السياسة في الكثير من قواعد الأندلس التي فتحت من قبل الموحدين.[1]

و زيادة على هذا كله، فقد انتشرت الوسائل التعليمية و التثقيفية في بلاد المغرب عامة، و كانت هناك مراكز للعلم و الثقافة في كل من فاس، سبتة، سلا ، مكناسة، طنجة و غيرها، و هذا في المغرب الأقصى. و مدن المغرب الأوسط مثل تلمسان و وهران، بجاية، الجزائر، تونس، المهدية و القيروان، و نفس الأمر بالنسبة للأندلس مثل قرطبة و اشبيلية، غرناطة و بلنسية و غيرها. كما لا ننسى المدن التي أنشأها عبد المؤمن بالمغرب و الأندلس.[2]
و من المراكز التي نالت عناية خاصة و اهتمام الخليفة عبد المؤمن، هناك مدينة تلمسان، بحيث جدد مسجدها الجامع و عقد فيها مجالس للعلماء و أمر بالتعليم الإجباري.[3]

كما أنشأ بمراكش مدارس، كالمدرسة العامة لخريجي الموظفين، و المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين، إضافة إلى مدرسة تعليم الملاحة التي أسسها بالرباط[4]، و يندرج التعليم الإجباري عندهم أنه يجب على كل من هو تحت راية الموحدين أن يتعلم من العقائد و ما يتعلق بالصلاة، كما ألزم القرّاء بقراءة عقيدة ابن تومرت[5]. و من مراكز التعليم أيضا الكتاتيب و المساجد و الزوايا و الرباطات، كما احتوت المساجد على المدارس و كثرت الكتاتيب، وسارت على مناهج التوحيد و الأصول.[6]

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 403.
(2) صالح بن قربة : ص 85.
(3) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 150
(4) محمد المنوني : حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، المغرب، 1989، ص ص 21،20.
(5) ابن شكوال : المصدر السابق، ص 126
(6) ابن خلدون : المقدمة، ص 495

أولا : الحياة الثقافية.

1- اللغة :

كان ابن تومرت من المهتمين باللغة العربية، و هذا ما سار عليه الخليفة عبد المؤمن من بعده. و الذي قام بتربية ابنه " يوسف " تربية دينية و لغوية حتى صار من علماء اللغة و من المتضلعين في علم النحو. و قد ظهر علماء كبار في هذا المجال، ففي الأندلس ظهر " عمر الشلوبين " مؤلف كتاب " التوطئة في النحو " ، و " محمد بن مالك " صاحب الألفية المشهورة في النحو و الصرف.

ففي المغرب ظهر أيضا " محمد بن أحمد بن هشام " اللخمي السبتي المتوفي سنة (570هـ) صاحب كتاب " الفصول و الجهل في اللغة ".

و أيضا هناك " أبو ذر مصعب بن مسعود الخشني " ، و كذلك " الحسن بن أحمد بن يحي بن عبد الله الأنصاري " هذا الذي برع في النحو و العروض، و توفي بمالقة سنة (585هـ).

و كذا " محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف " الذي برز في علم اللغة و البلاغة.[1]

2- الأدب.

كان عبد المؤمن شاعر و أديبا، و انتشر العلم و الأدب و قدم العلماء من ميادين الشعر و الأدب و نالوا كل العناية و التشجيع، و كان هناك تنافس بين أدباء المغرب و أدباء الأندلس، ما أدى إلى ازدهار الآداب، فتميزت الدولة الموحدية بطابع العلم و الأدب، فبنيت المدارس و أقيم التدريس و الخطابة و كثر إقبال الطلبة من مختلف المناطق.[2]

3- النثر :

اعتمد الموحدون على الخطابة في نشر دعوتهم، و الظاهر أن الكتابة النثرية قد عرفت رواجا كبيرا في عهد عبد المؤمن، من خلال ما جمعه المستشرق الفرنسي" ليفي بروفنسال " من رسائل الموحدين التي بلغت سبعا و ثلاثين رسالة من بينها ثلاث و عشرين كتبت في عهد عبد المؤمن،

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 47،48.

(2) نفسه، ص 48.

و ظهر رسائل التوقيعات منها توقيعات عبد المؤمن، ومن أشهر كتابه: أبو جعفر بن عطية وأخوه عقيل بن عطية، و أبو القاسم القاني، و أبو الحسن بن عياش، و أبو الحكم المرضي و انتشرت فنون النثر و ظهرت مؤلفات عامة في التاريخ و الفلسفة و العلوم الدينية و الأدبية.[1]

كما ظهر أيضا من فنون النثر ما يعرف بـ " المناظرات "، و كان أول مناظر في الموحدين زعيمهم المهدي بن تومرت، الذي ناظر علماء المرابطين و تغلّب عليهم في مجلس الأمير " علي بن يوسف ". ثم تطور هذا الفن في عهد الخليفة عبد المؤمن الذي كان عصر جدال طويل بين الموحدين و بين المالكيين، حيث ابتدع أحد العلماء بالأندلس و هو " أبو عبد الرحمان بن طاهر " نوعا جديدا من المناظرة الخيالية، و هي مجادلة بين النفس المطمئنة و النفس النزوعة.[2]

ج- الشعر :

كما كان للشعر انتشارا و رواجا كبيرا على عهد الموحدين، حيث ظهر العديد من الشعراء من الرجال و النساء، من بينهم بن تومرت الذي قال مناجيا نفسه : [3] (من البحر المتقارب)

أَخَذْتِ بِأَعْضَائِهِمْ إِذْ نَـــأُوا *** وَ تُسْمِعِ وَعْظًا وَ لاَ تُسْمَعِ
فَكَمْ أَنْتِ تَنْهِي و لا تُنْهَى *** وَ خَلْفَكِ القَوْمُ إِذْ وُدِعُوا

* و من شعر الخليفة عبد المؤمن قوله[4] : (من البحر البسيط)

وَ حُكْمُ السَّيْفِ لاَ تَعْبَأْ بِعَاقِبَةٍ *** وَ خِلُّهَا سِيرَةٌ تَبْقَى عَلَى الحِقَبِ
فَمَا تَنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَـةً *** وَ لاَ تُرَدُّ صُدُورُ الجَبَلِ بِالكُتُبِ

(1) محمد المنوني : المرجع السابق، ص 129،130.
(2) نفسه، ص 130،131
(3) ابن خلكان : المصدر السابق، ص 54،55.
(4) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 51.

* و مما قاله ابن حبوس في مدح عبد المؤمن و هو بمدينة الفتح :[1] (من البحر الطويل)

أَلاَ أَيُّهَـا البَحْـرُ جَـاوَرَكَ البَحْـرُ *** وَ فِيمَا فِي أَرْجَائِـكَ النَّفْـعُ وَ النَّصْـرُ
وَ حَاشَ عَلَى أَمْوَاجِكَ الحِلْمُ وَ الحَجَا *** وَ فَاضَ عَلَى أَعْطَافِكَ النَّهْيُ وَ الأَمْرُ
وَ سَالَ عَلَيْـكَ البِـرُّ خَيْلاً كُمَاتُهَـا *** إِذَا حَاوَلْـتَ غَزْوًا فَقَدْ وَجَـبَ النَّصْـرُ

* و من شعر أبو العباس الجراوي في مدح عبد المؤمن أيضا : (من البحر الكامل)

أَعْلَيْـتَ دِيـنَ الوَّاحِـدِ القَهَّـارِ *** بِالمَشْرَفِيَـةِ وَ القَنَـا الخَطَّـارِ
وَ رَأَى بِـهِ الإِسْـلاَمُ قُـرَّةَ عَيْنِـهِ *** وَ غَـدَتْ بِكَ الغَـرَّاءُ دَارَ قَرَارِ
وَ مَلَكْتَ مِنْ طَرَفِ الهِدَايَـةِ لاَحِقًا *** طُوبَى لِمَنْ يَمْشِي عَلَى الآثَـارِ
وَ جَـرَتْ مَعَالِمَكُـمْ إِلَـى الأَمَدِ الذِي *** بَعُـدَتْ مَسَافَـةً عَلَـى الأَسْفَـارِ.[2]

* أما عن الشعر النسائي في عهد عبد المؤمن، فهناك الشاعرة حفصة بنت الركونية[3]، و التي مدحت الخليفة عبد المؤمن بقولها : (من البحر الكامل)

يَـا سَيِّدَ النَّـاسِ يَـا مَـــــنْ *** يُوصِـلِ النَّـاسَ رِفْـدَهُ
أَمْنِـنْ عَلَـيَّ بِطُـــــــوسٍ *** يَكُونُ لِلدَّهْـرِ عُـــدَّةً
تَحُـــطُّ يُمْنَـــاكَ فِيـــــهِ *** الحَمْـدُ لِلَّـــهِ وَحْـــدَهُ

* و الشاعرة أسماء العامرية[4]، و التي مدحت الخليفة عبد المؤمن بقولها : (من البحر الوافر)

عَرِفْنَـا النَّصْرَ وَ الفَتْحَ المُبِينَـــــا *** لِسيِّدِنَـا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَـــا
إِذَا كَانَ الحَدِيثُ عَنْ المَعَالِـــــي *** رَأَيْتُ حَدِيثَكُمْ فِينَا شُجُونَـا
رَوَيْتُـــمْ عِلْمَـــهُ فَعَلَّمْتُمُـــوهُ *** وَ مِنْتُمْ عَهْدَهُ فَغَدَا مَمُونَـا

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 53.

(2) نفسه : ص 54.

(3) **حفصة** : شاعرة أدبية بنت الحاج، الركونية الغرناطية. **أنظر**: إبن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تح : عبد الله عنان، ط2، مج1، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1973م، ص 491

(4) **أسماء العامرية** : من أهل اشبيلية. كتبت إلى الخليفة رسالة تبيّن فيها له نسبها العامري، و تسأله رفع الأنزال عن دارها. **أنظر**: المقري (1041هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج4، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ص 292.

و قد اهتم الخليفة عبد المؤمن بالأدباء و الشعراء و دفع لهم رواتب و عقد لهم مجالس أدبية و علمية كمجلس مدينة الفتح الذي يتجمع فيه الأدباء و الشعراء، و سجلوا أحداث المدينة، و منهم : [1]

* أبو القاسم أبو مسعود : (من البحر الطويل)

حَنَانِيكَ مَدْعُوًا وَ لَبَيْكَ دَاعِيـــــاً *** فَكُلُّ مَا تَرْضَـــاهُ أَصْبَـــحَ رَاضِيـــاً

وَ قَدْ كَثُرَتْ مِنَّا سُيُوفٌ لَدَى العُلاَ *** وَ مِنْ سَيْفِكَ المَنْصُورِ نَبْغِي بِكَ قَاضِياً

* و أبو العباس، الشاعر الاشبيلي : (من البحر الكامل)

هَذِي الخِلاَفَةُ لاَ خِلاَفَةَ بَعْدَهَـــــا *** جَاءَتِ الهَـــدْيَ الكَرِيـــــمَ الأَوْجَـــبِ

عَصَفَتْ بِأَقْصَى الشَرْقِ مِنْهُ عَزْفَـةً *** حَنَّتْ لِشِـــرْوَاهَا بِأَقْصَـــى المَغْـــرِبِ

* و أبو الوليد الشواس : (من البحر الكامل)

يَا سَعْدُ دِينِ اللهِ أَفْلَحَ حِزْبَـــــهُ *** وَ مَوْتُ عِدَاهُ فِي عَـــذَابٍ وَاصِـــبِ

يَمْضِي لأَمْـــرِ اللهِ غَيْرَ مُعَـرِجٍ *** مُتَوَجِهـــاً بِالنَّصْـــرِ ضَرْبَـــةَ لاَزِبِ

أَمْضِي إِلىَ الشَّرْقِ القَصِيِّ عَزِيمَةً *** نَالَتْ قِيَـــادَ أَعَاجِـــمٍ وَ أَعَـــارِبِ

و قد ظهر في عهد عبد المؤمن، شاعران مغربيان شهيران هما :

أبو عبد الله بن حبوس[2]، و أبو العابس الجرواي[3]، هذا الأخير الذي لزم عبد المؤمن و نال حظوته و رضاه حتى أطلق عليه لقب شاعر الموحدين، و من قصائد عبد المؤمن لدينا قصيدة و التي أرسلها إلى ولده يوسف يبشره بفتح المهدية، و فيها : (من البحر الطويل)

وَ لَمَّا قَضَيْنَا بِالمَشَارِقِ أَمْرَنَا *** وَ تَمَّ مُرَادُ اللهِ فِي كُلِّ مَطْلَبِ

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 87.

(1) **ابن حبوس** : أبو عبد الله بن حبوس ولد سنة 500هـ و توفي سنة 570هـ، وهو أول من هنأ الخليفة بمدينة الفتح. **أنظر**: عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 213، و ابن القطان : نظم الجمان، ص 134

(2) **أبو العباس الجراوي** : اعتبر الجراوي قمر الدولة الموحدية، و أكبر شعرائها، و عاصر الخليفة عبد المؤمن، و ابنه يوسف، وكذا يعقوب المنصور و الناصر، و أثنى به عبد المؤمن فقال له : " يا أبا العباس إنا نباهي بك شعراء الأندلس. **أنظر** : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 49-52.

وَ طُهِّرَ هَذَا الصَّقْعِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ *** وَ عَادَ بِنَا الإِسْلاَمُ بَعْدَ تَغَيُّبِ
وَ كُسِرَتِ الصِّلْبَانُ فِي كُلِّ بَيْعَةٍ *** وَ نَادَى مُنَادِيَ الحَقِ فِي كُلِّ مَرْقَبِ
أَشَرْنَا بِأَعْنَاقِ المَطَى إِلَيْكُمُ *** فَطَارَ بِهَا شَأْوُ السُّرُورِ بِمَغْرِبِ
فَأَبْشِرْ أَبَا حَفْصٍ بِنَصْرٍ مُؤَزَّرٍ *** كَفِيلٍ بِمَا تَبْغِيهِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
فَطُوبَى لأَهْلِ الغَرْبِ مَاذَا يَرَوْنَهُ *** مِنَ النَّصْرِ وَ الفَتْحِ المُبِينِ المُقَرَّبِ[1]

ثانيـا : العلوم العقلية.

كان شديد الاهتمام و التقدير للعلماء، و أكبر دليل على ذلك أنه كان ينفق عليهم من ماله الخاص، و من ذلك ذكر أنه : " ربّى الحفاظ و كان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر... و هم ثلاثة آلاف... و قصدهم سرعة الحفظ و التربية على ما يريده... فيأخذهم يوما لتعلم الركوب، و يوما للرمي بالقوس... في بحيرة صنعها خارج بستانه، فتأدبوا بهذا الأدب... و كانت نفقتهم و سائر مؤونتهم من عنده "[2]

كما كان يبقيهم إلى جواره و يمنحهم العطايا و الأرزاق الواسعة، و قرر بعد موافقة أشياخ الموحدين أن يمنح لكل طالب منهم قرضا، مقداره ألف دينار و لم يسترجعه منهم مطلقا. كما وظّف الكثير منهم في أعمال الإدارة و السياسة في الكثير من قواعد الأندلس التي فتحت من قبل الموحدين.[3]

و زيادة على هذا كله، فقد انتشرت الوسائل التعليمية و التثقيفية في بلاد المغرب عامة، و كانت هناك مراكز للعلم و الثقافة في كل من فاس، سبتة، سلا ، مكناسة، طنجة و غيرها، و هذا في المغرب الأقصى. و مدن المغرب الأوسط مثل تلمسان و وهران، بجاية، الجزائر، تونس، المهدية و القيروان، و نفس الأمر بالنسبة للأندلس مثل قرطبة و اشبيلية، غرناطة و بلنسية و غيرها. كما لا ننسى المدن التي أنشأها عبد المؤمن بالمغرب و الأندلس.[4]

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 52.
(2) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 114.
(3) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 403.
(4) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 85.

و من المراكز التي نالت عناية و اهتمام الخليفة عبد المؤمن، ففي الجزائر اعتنى بمدينة تلمسان عناية خاصة، بحيث جدد مسجدها الجامع و عقد فيها مجالس للعلماء و أمر بالتعليم الإجباري.[1]

كما أنشأ بمراكش مدارس، كالمدرسة العامة لخريجي الموظفين، و المدرسة الملكية لتعليم الأمراء الموحدين، إضافة إلى مدرسة تعليم الملاحة التي أسسها بالرباط، و يندرج التعليم الإجباري عندهم أنه يجب على كل من هو تحت راية الموحدين أن يتعلم الضروري من العقائد و ما يتعلق بالصلاة، كما ألزم القرّاء بقراءة عقيدة ابن تومرت.[2] و من مراكز التعليم التي استعملت في عهد عبد المؤمن هي الكتاتيب و المساجد و الزوايا و الرباطات و غيرها.

1- التاريخ.

و قد ازدهرت حركة التأليف التاريخي في عصر الموحدين، حيث ظهر عدد كبير من المؤرخين الذين ألفوا في علم التاريخ و كان لهم دور كبير في إثراء المادة العلمية[3] و من بينهم :

أ- **أبو بكر بن علي الصنهاجي** : المعروف بـ (البيدق)، صاحب كتاب " أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين "، كما له كتاب " المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ".

ب- **عبد المالك بن محمد بن صاحب الصلاة** : صاحب كتاب " المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين ".

ج- **علي بن محمد بن عبد المالك المعروف (بابن القطان)** : صاحب كتاب " نظم الجمان ".

د- **عبد الواحد المراكشي** : صاحب كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب ".[4]

و من مؤرخي التراجم هناك العلامة المؤرخ :

هـ- **أبو القاسم خلف بن عبد المالك بن مسعود بن بشكول** : صاحب كتاب " الصلة ".

و من مؤرخي الأنساب هناك العلامة المؤرخ :

(1) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 92.

(2) محمد المنوني : حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال، المغرب، 1989، ص ص 20،21.

(3) حسين عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 241.

(4) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 59،60.

و- أبي محمد بن علي بن عبد الله اللخمي المعروف (الرشاطي) : (ت542هـ) صاحب كتاب " اقتباس الأنوار و التماس الأزهار في أنساب الصحابة و رواة الآثار ".[1]

2- الجغرافيا.

لقد تميّز المغاربة عن غيرهم في حبهم للرحلة و الإطلاع على أحوال الأمم، فظهر بذلك عدد كبير من الرحالة، و أشهرهم : الرحالة ابن جبير، صاحب كتاب " رحلة ابن جبير".

و في عهد عبد المؤمن بن علي ظهر أشهر جغرافي في العصور الوسطى و هو " الشريف الإدريسي السبتي " الذي درس بسبتة، ثم انتقل لإكمال دراسته في قرطبة، فأتيحت له الفرصة لزيارة باقي المدن الأندلسية، ثم زار أوروبا و عاد بعدها إلى المغرب ليستأنف رحلته في زيارة باقي مدن المغرب الإسلامي وصولا إلى مصر، ثم توجه بعدها إلى آسيا. و كان خلال رحلته الطويلة الشاقة يدوّن المعلومات الجغرافية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية لتلك البلدان.[2]

ثم قام بعدما جمع كل هذه المعلومات بتأليف كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " و الذي يبيّن فيه وصف البلاد و المسالك و الممالك التي تربط بين أجزاء الأرض.[3]

و من أهم أعمال الإدريسي :

1- الخريطة الحائطية : فلما ذاعت شهرة الإدريسي، أرسل في طلبه الملك " روجار الثاني " ملك صقلية، و طلب منه رسم خريطة العالم، بيّن فيها مواقع البلدان و البحار و الأنهار و الجبال و غيرها، فوافق الإدريسي على ذلك و حقق له طلبه.

2- المائدة الفضيّة : أو الخريطة الأرضية الفضيّة : ثم رغب " روجر " مرة أخرى أن يرسم له هذه الخريطة على لوح من الفضة، فأحضر " روجر " الصنّاع البارعين المهرة الذين أتقنوا هذا العمل تحت تعليمات الإدريسي و رقابته، ثم أكمل رسمها بكل دقة و إتقان.[4]

(1) حسين عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 241.

(2) صالح بن قربة : المرجع السابق، ص 60،61.

(3) حسين عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 242.

(4) محمد المنوني : المرجع السابق، ص 57،58.

و من الكتب الجغرافية أيضا التي ظهرت في عهد عبد المؤمن كتاب " الإستبصار في عجائب الأمصار " لمؤلف مجهول.[1]

3- العلوم الرياضية.

شهدت العلوم الرياضية اهتماما كبيرا و عناية خاصة في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، فالهندسة مثلا كانت هي الأساس العلمي الذي قامت عليه المنشآت المعمارية بكل جوانبها (الدينية و الحربية).[2]

و يتجلى ذلك عندما أصدر عبد المؤمن أوامره بمسح كل الأراضي في المغرب، و ذلك لتسهيل فرض الضرائب على هذه الأقاليم، فكان من الضروري استعمال الهندسة و توظيفها.[3]

و من أشهر المهندسين المعماريين الذين ظهروا في عهد الخليفة عبد المؤمن، هناك " الحاج يعيش المالقي " ، و " ابن جاسة "، هذا الأخير الذي يعتبر واحدا من بين المهندسين الذين أشرفوا على بناء مدينة " جبل طارق "[4].

و أما فيما يخص الحساب فقد كان علما أساسيا هو الآخر، فقد احتاجته الدولة الموحدية، و من بين هؤلاء المحاسبين نجد أساتذة كثيرون، فمنهم : " ابن فرحون القسي (ت 601هـ) صاحب كتاب " اللباب في مسائل الحساب "، و هناك أيضا " عبد الله بن محمد بن سهل الغرناطي " و " عبد المنعم بن محمد المراكشي ".[5]

كما عرف علم الجبر و المقابلة رواجا كبيرا في هذه الفترة، و من الذين اشتهروا في هذا المجال، هناك " أبو عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي " (ت601هـ)، فكان متميزا و عالما على غيره في علم الجبر و المقابلة.[6]

(1) حسين عبد الرحيم : المرجع السابق، ص 242.
(2) محمد المنوني : المرجع السابق، ص 74.
(3) مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 118،119.
(4) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 205،206.
(5) محمد المنوني : المرجع السابق، ص 74.
(6) نفسه، ص 75.

من خلال هذه التنظيمات و الإنجازات ندرك مدى المساهمة الكبيرة لعبد المؤمن بن علي في تطور و ازدهار الدولة الموحدية، فهو المؤسس الفعلي و الواضع الرئيسي لأسس هذه الدولة و مثبت سياستها في المغرب و الأندلس.

خاتمـة

تكمن أهمية النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث، كونه نسبية و قابلة و الإضافات، و على ضوء المعطيات الجديدة التي يمكن للباحث التحصل عليها و في هذا السياق، و من خلال ما تم عرضه و مناقشته من مادة علمية ضمن مختلف فصول الدراسة يمكن استخلاص النقاط التالية :

– لعب محمد ابن تومرت دورا كبيرا في نشر حركته التي لم تكن حركة إصلاحية و حسب بل كان لها بعد سياسي و فكري استطاع من خلاله نشر دعوته وفق مبادئ دينية و روحية، و اجتهاده بالأمر بالمعروف و النهي عن النكر، مما أكسبه العديد من الأتباع عُرفوا "بالموحدين"، الذين أعدهم لمهمته في القضاء على المرابطين و العمل على تشويه عقيدتهم و اتهامهم بالخروج عن الدين.

– كما أن الأوضاع المتدهورة في بلاد المغرب في العهد الأخير للمرابطين ساعدت بدورها في انتشار الدعوة الموحدية و أكسبتها قبولا كبيرا لدى القبائل المغاربية التي عايشت حالة من الفساد و الظلم.

– بينما كان الدور الأعظم لعبد المؤمن بن علي الذي تولى إتمام مهمة ابن تومرت و حمل دعوته، بعد أن تمت مبايعته بالخلافة ليصبح بذلك الخليفة الأول للموحدين.

فالشخصية العظيمة التي كان يتمتع بها عبد المؤمن من ذكاء و شجاعة و حنكة سياسية و قيادية، و معرفته الحربية و وضع الخطط العسكرية المحكمة، و حرصه الشديد في العناية بالجيش باعتباره الركيزة الأساسية للدولة حتى أصبح من أعظم الجيوش في عصره و بذلك استطاع القضاء على التواجد المرابطي من خلال غزواته الطويلة التي دامت 33 سنة، فقام بالسيطرة على كل مدن المغرب الأقصى و ذلك من (534هـ–1138م) إلى (541هـ–1145م) ، و ضم إفريقية و المغرب الأوسط و ذلك من (541هـ–1145م) إلى (555هـ–1159م) ، أما غزواته في الأندلس فامتدت من (541هـ–1145م) إلى (558هـ–1162م).

و كان كثيرا ما يسجد لله باكيا و طالبا أن يكون الفتح على يديه، و كلما صعب عليه أمر لجأ إلى الله، و جعل عبد المؤمن اللغة العربية لغة رسمية، و نقل عددا من القبائل العربية إلى جميع أنحاء المغرب و تمت المصاهرة بينهم و بين البربر و ذلك لنشر اللغة العربية و تثبيت الإسلام.

و خلاصة القول هو أن عبد المؤمن بن علي قد لعب دورا كبيرا في قيام دولة الموحدين سنة (541هـ-1145) ذات الأبعاد السياسية و الحضارية، في نطاقها الجغرافي الواسع الذي شمل كل من المغرب الأندلس. و يظهر ذلك من خلال إنجازاته العسكرية و تنظيماته السياسية و الحضارية في تثبيت دعائم الدولة، التي شهدت تطورا و ازدهار كبيرين على عهده في مختلف الميادين، و ظهورها كقوة سياسية على الساحة الدولية و وضع اسمه ضمن قائمة العظماء في التاريخ الإسلامي.

الملاحق

الملحق الأول : العملة النقدية التي صكّها الخليفة عبد المؤمن بن علي.[1]

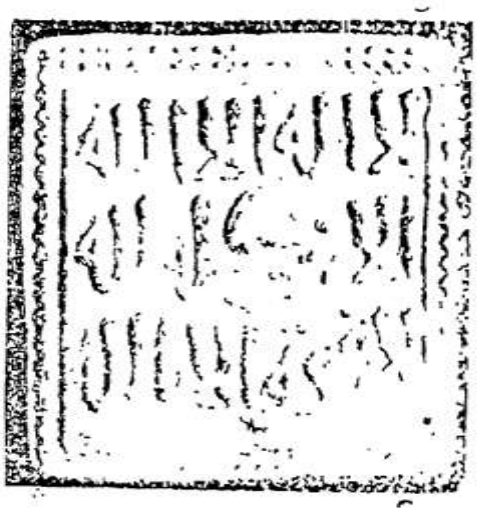

ظهر الدرهم

وجه الدرهم

ظهر الدينار

وجه الدينار

(1) ابن القطان : نظم الجمان، ص 150.

الملحق الثاني: رسالة من محمد بن تومرت إلى أمير المسامين علي بن يوسف بن تاشفين.[1]

رسامة من محمد (المهدى) بن تومرت الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين

من القائم بدين الله ، العامل بسنة رسول الله ، محمد بن عبد الله وفقه الله .

الى المغرور بدنياه على بن يوسف .

أما بعد ، فأنا ما وجدنا لاكثركم من عهد ، وان وجدنا أكثركم لفاسقين لم تخشوا عقوبة رب العالمين ، ولم تتفكروا فيمن حولكم من الظالمين، الذين غووا فأصبحوا نادمين ، فتبعهم الناس أجمعون فاذا هم أخسر الخاسرين ، وقد أمرنى الله بادحاض حجة الظالمين ، ودعاء الناس الى اليقين ، ونسأل من الله أجر المحسنين ، لا تغتروا فان المسلمين اليكم .. فلابد أن نجيش ونفوز ... لقتال من زاع وجنف وكفر بنعمة الله ، وقد جاء فى التنزيل انكم لستم بمؤمنين بلا الاه الا الله ، وأنها كلمة تقولونها عند الخوف والتعجب ، وتارك واحدة من السنة كتاركها كلها ، ومن أجل ذلك دماؤكم حلال ، ومالكم فىء وقد بينا لكم وأوضحنا السبيل ، (ومانغنى الايات والنذور عن قوم لا يؤمنون ؟) (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

والسلام على من اتبع الهدى وخشى الرحمان .

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص 155.

الملحق الثالث : رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الطلبة في الأندلس.

وجه عبد المؤمن رسالة جامعة ، تبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدله، ونهجه مناهج الحق، الى الطلبة في اشبيلية والاندلس، خلدت مآثره، وأوامره، ووصاياه الحكيمة وأراءه العلمية.

وهي من انشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية، فرأيت في جملة ما أثبته أنموذج معاليه، التي هي إحدى فوائد هذا الكتاب ولآليه

وهي بعد البسلمة والصلاة:
من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره، وأمد بمعونته، الى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ،،،

فالحمد لله، وهو اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي بعدله قامت السموات والارض وبه تقوم. وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم، ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم، والرضا عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم الذي بعثه الله للمؤمنين، ينيلهم به الروح والنعيم، ويريهم رحيقها المختوم.

وكتابنا هذا كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة، وجعلنا واياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه - من الحضرة العلية بتينملل - حرسها الله تعالى - في سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: وقد وصلناها - والحمد لله - وجناح الرحمة

مخفوض، وطرف المكاره مغضوض، وفيض العدل والبذل منتشر مستفيض، وشأن الظلم - باذن الله تعالى - مكفوف مقبوض، والحق أبلج لا كتابة ولا تعريض.

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدى رضي الله تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم. وشفاء شوق اليه لزم ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعاً ببركاته، ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته، وحرصاً على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه، ويعلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترتفع، ويذكر فيها اسمه، ولتنعم الجوارح بمشاهدة هذه المشاهد المنعمة، والمواسم المعظمة، وتتزود بالتطوف على معاهد ما عهدته العوارف المتممة، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى غرضه، وأمر يستخب المرء اليه طلب ذلك الخير ويستنهضه.

وقد تم - بحمد الله تعالى - هذا الوطر، واقتضى الاياب الى النظر في المصالح والرأي الجميل النظر، وتفجرت - بحمد الله تعالى - منابع الخير وفاضت، وعادت روابض الأمر الى أشرف حالاته وآضت، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت في غير هذا الزمن المذكور وغاضت، ونسأل الله تعالى عونه على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها، ووعت الأفئدة نفائسها، وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائعها.

وان الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه، فالسعيد من لقي ربه مبرءا من اتباع الهوى سليماً، والشقي من أتي مليماً، باكتساب الكبائر ملوماً، "ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه، وكان الله عليماً حكيماً" والله سبحانه يهب الرحمة للمسترحمين، ويحب الرفق ويحل به كنفه الأمين، وفي الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين: "واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين"، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء، وبرأفته كشف عنهم العماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: انما يرحم الله من عباده الرحماء.

وقد قال الله تعالى "انما المؤمنون اخوة"، فاعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً الى مرضاة الله تعالى واتياناً، وكونوا عباد الله اخواناً، وأحسنوا بهم - رعاكم الله - ظناً، وعودوهم الخير لفظاً ومعنى، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق وقولوا للناس حسنى. واستألفوا الناس بالتي هي أحسن، وأبدلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن، وانهجوا لهم من المبرات منهجاً يبدو به مضمركم الجميل ويتبين، وسروا بصالح عملكم وبشروا وسيروا - كما قال عليه الصلاة والسلام - ولا تعسروا وسكنوا، ولا تنفروا.

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب لا يتأتى لكم جملة واحدة، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاوناً يجمع في الصلاح آراءكم، ويضمن النجاح التام لكم ولمن وراءكم، فعليكم بالمظافرة، والمناصرة، والمؤازرة، فهي سواعد السعد، قواعد الود، وشيم الكرام الحافظين العهد، وبها يعمر محل الرضى وندبه، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه.

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها، وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها، ونبهناكم تنبيهاً بالغاً، وللحال ما بعدها، جعلنا الله تعالى واياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته، وحفظ ما استرعاه الله تعالى، فكل راع مسئول عن رعيته.

وكان مما - وفقكم الله تعالى - على تنبيهكم واذكاركم، وايقاظكم للنظر في تلك المصالح واشعاركم، ما ألقيناه بحضرة مراكش - حرسها الله - من بعض تلك الأنواع، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع، كنوع القبالة، وما يجرى مجراها في وجوب الازالة والاحالة، فإن كنا لا نبحث عن ذلك، لتخيلنا أنه لا يجرؤ أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى تلك المسالك، فلما كان الحث عما يجب، وزال عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب، اطلعنا على ذلك، فأنكرنا ما كان نكيراً، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذوراً بالشرع محظوراً، حتى تظهر ثوب الأمن من دنسه، وتجلى الوجه الخالص عن ملتبسه، واقتبس نور

الحق من مقتبسه، وجرت الأمور على ما عهدناه عليه من الاعتدال والقوام، بحكم ما أحكمه الامام المهدي رضي الله تعالى عنه في القضايا والأحكام، واذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب، فكيف الأمر فيمن هو في حكم بعدٍ عنا واغتراب؟!.

فانظروا هذا - وفقكم الله تعالى - نظر أولي الألباب، ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب، ولتذهبوا الى اظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ،،،

رسالة الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الطلبة في الأندلس.[1]

(1) ابن القطان : المصدر السابق، ص 157.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر

1- أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدق (ت أواخر القرن 6 هـ) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971.

2- ..... : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1971.

3- أبو العباس السلاوي (ت 1315 هـ) : " الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى "، تح: جعفر الناصري، (د ط)، مكتبة دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

4- أبو العباس شمس الدين بن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، (د ط)، مج5، دار صادر، بيروت، 1977.

5- أبو عبد الله بن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1286.

6- أبي عبد الله بن الخطيب (ت 776 هـ) : رقم الحلل على نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1216.

7- أبي عبد الله الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدين و الحفصية، تح: محمد ماضوي، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1996.

8- أبي عبد الله محمد ابن الأبار (ت 658 هـ) : الحلة السيراء، تح: حسن مؤنس، ط1، ج2، دار المعارف، القاهرة، 1963.

9- ابن أبي زرع الفاسي (ت 710 هـ) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، (د ط)، دار المنصور للطباعة و الوراقة، 1972.

10- ابن الخطيب : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تص: البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس (د ت).

11- ابن صاحب الصلاة (ت 594 هـ) : المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد

الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.
12- ابن عذاري المراكشي (ت أواخر القرن 7هـ) : البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون. ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.
13- ابن غازي محمد العثماني (ت 919 هـ) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، (د ط)، شارع المؤمونية، الرباط، 1952.
14- ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمد مكي، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، لبنان (د ت).
15- حسن بن الوزان الفاسي (ت 960 هـ) : وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
16- شمس الدين محمد (الذهبي) : سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي، ط1، ج2، مؤسسة الرسالةن بيروت، 1958.
17- شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت 733 هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد تروجيني، (د ط)، ج24، دار الكتب العمومية، بيروت (د ت).
18- عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808 هـ) : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا: سهيل زكار، (د ط)، ج6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2000.
19- عبد الواحد المراكشي (ت 647 هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان،(د ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، (د ت).
20- علي الجزائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.
21- محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (ت 630 هـ) : الكامل في التاريخ، مرا: محمد يوسف الدقاق، ط4، مج9، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
22- محمد بن عبد المنعم (ت 900 هـ) : الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984.
23- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، 1852.

24 الماوردي : الأحكام السلطانية، (د ط)، الحلبي، مصر، 1966م
25- المقري "احمد بن محمد" (1041هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج4، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م
26- إبن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تح : عبد الله عنان، ط2، مج1، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1973م، ص 491

27- ياقوت الحموي : معجم البلدان، (د ط)، مج2، دار صادر، بيروت، (د ت).

ثانيا : المراجع

1- ابتسام مرعي خلف الله : العلاقات بين الموحدين و المشرق الإسلامي (524-936هـ)، (د ط)، دار المعارف، 1985.
2- حسين إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، ط14، ج4، دار الجيل، بيروت، 1996.
3- حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين و الموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.
4- راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ط1، ج2، إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، 2011.
5- صالح بن قربة : عبد المؤمن بن علي، موحد بلاد المغرب، (د ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
6- الصلابي : فقه التمكين عند المرابطين، ط1، إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، 2006.
7- ..... : دولة الموحدين، (د ط)، دار البيارق للنشر، عمان، 1998.
8- ..... : الجوهر الثمين بمعرفة دولة الموحدين، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامي، القاهرة، 2003.
9- عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي (د ط)، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

10 عبد الحق المريني : فكرة تنظيم عبد المؤمن للجيش في مراكش (الجيش المغربي عبر التاريخ)، ط5، مطبعة المعرفة الجديدة، الرباط، 1997.

11- عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011.

12- عبد المجيد النجار : تجربة الإصلاح لابن تومرت، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1995.

13- كمال سيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل و فتاوى المعيار المغرب للونشريسي، (د ط)، مركز الإسكندرية للكتاب، 1969.

14- لخضر سيفر : التاريخ السياسي لدولة المغرب الإسلامي، (د ط)، ج1، الأمل للدراسات، (د ت).

15- محمد حسن العيدروس : المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008.

16- مراجع عقيلة الغناي : قيام دولة المرابطين، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 2008.

17- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الإندلس، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 199.

18- محمد معمر الهادي القرقوطي : جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، دار هومة، 2012.

19- محمد المنوني : حضارة الموحدين، دار توبقال، المغرب، 1989.

20- هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس، ط 1، دار الفرقان، نابلس، 1984.

21- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، ط2، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1958.

ثالثا : الموسوعات.

1- حسين مؤنس : موسوعة تاريخ المغرب و الأندلس (فكر تاريخ حضارة و تراث)، ط1، ج1،

المكتبة الثقافية الدينية، 1996.

رابع : الرسائل الجامعية

1- حسين عبد الرحيم : دور عبد المؤمن بن علي الكومي بنشر دعوة ابن تومرت و إقامة دولة الموحدين في المغرب الإسلامي، المشرف : محمد عبدو حتاملة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1933.

2- عبد المجيد النجار : المهدي ابن تومرت (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي)، المتوفي سنة (524هـ-1129م)، رسالة الدكتوراه نالت مرتبة الشرف الأول، جامعة الأزهر، ط1، 1983.

فهرس الموضوعات

فهــرس الموضوعــات

العنـــوان	الصفحة
الإهـداء.	
الشكر والتقدير.	
مقدمـة :	أ – د
الفصل التمهيدي : أوضاع المغرب قبيل قيام دولة الموحدين	**6 - 12**
أ- الوضع السياسي.	7-6
ب- الوضع الاجتماعي.	8-7
ج- الوضع الديني.	9-8
بداية الدعوة التومرتية.	12-9
الفصل الأول : ترجمة لعبد المؤمن بن علي و لقائه بابن تومرت.	**14-21**
المبحث الأول : مولده و نسبه.	15-14
المبحث الثاني : نشأته العلمية.	16-15
المبحث الثالث : لقائه بابن تومرت.	20-16
المبحث الرابع : بيعته بالخلافة.	21-20
الفصل الثاني : سياسة عبد المؤمن بن علي و جهوده التوحيدية.	**23-27**
المبحث الأول : توحيد المغرب الأقصى.	25-23
– فتح تلمسان و وهران.	27-25
– فتح فاس.	28-27

- فتح مراكش.	30-28
المبحث الثاني : ضم المغرب الأوسط و إفريقية.	33-30
- المغرب الأوسط.	31-30
- إفريقية.	33-31
المبحث الثالث : الأندلس.	36-33
المبحث الرابع : وفاة عبد المؤمن بن علي.	37-36
الفصل الثالث : تنظيمات عبد المؤمن بن علي و منجزاته.	**54-39**
المبحث الأول : التنظيم الإداري و نظام الحكم.	44-39
1- التنظيم الإداري.	41-39
2- نظام الحكم.	44-41
أ- الخلافة.	42-41
ب- تعيين الولاة.	42
ج- الوزارة.	43-42
د- ديوان الكتابة.	43
هـ- القضاء.	44-43
المبحث الثاني : التنظيم الاقتصادي.	45-44
1- مصادر الدخل المالي.	45
أ- الخراج.	46-45
ب- الزكاة.	47-46
ج- الجزية و الضرائب.	47
2- الزراعة.	50-47

3- الصناعة.	51-50
4- التجارة.	52-51
المبحث الثالث : التنظيم العسكري.	52
1- الجيش البري.	54-52
2- الأسطول البحري.	55
المبحث الرابع : إنجازاته الثقافية و الفكرية.	57-55
1- الحياة الثقافية :	57
أ- اللغة.	57
أ- الأدب.	58-57
ب- النثر.	58
ج- الشعر.	61-58
2- العلوم العقلية.	62-61
أ- التاريخ.	63-62
ب- الجغرافيا.	64-63
ج- العلوم الرياضية.	65-64
خاتمة :	68-66
الملاحق :	75-69
قائمة المصادر و المراجع :	80-76
فهرس الموضوعات :	84-81